Q 61146 m 17

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UNIVERSITY LIBRARY

111.85
Q6146mf
C.1

سلسلة الروح الجامعية (س ٢ ع ١)

مملكة الجمال

والحق والخير

بقلم محمود علي قراعة

59295

الطبعة الرابعة

١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

مطبعة الفتوح لصاحبها علي بك طه بشارع قنطرة عمر شاه بالزيتون بمصر

الإهداء

الى مولاى الملك الصالح ملك القلوب فاروق الأول

ملك مصر والسودان

ملأت العيون جمالا وأسرت النفوس كمالا ، فأحبك الناس قبل أن يعرفوك ، وملكت قلوبهم فتوجهم بحبك قبل أن يتوجوك ، فكانه حبك لهم نورا وكنت بايمانك لهم امامها ، وأفهمتهم بسيرتك الصالحة أن القرآن مفتاح الحياة وان حب الله والايمان به سبيل السعادة فيها ، وان لذة الايمان تفوق كل اللذات وفهم معانى الحياة قرب من الله . . . فاليك صورة روحية من صور تقديس الله فى عباده ، هدية حب وأخلاص وولاء ، فى عيد ميلادك السعيد

محمود على قراعه

فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٧

الروح الجامعيـــــة
فى عامها الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الكريم)

بحمد الله ومعونته وحسن تدبيره تمت الحلقة الأولى من سلسلة الروح الجامعية فى أوائل عام سنة ١٩٣٦ ، ولاقت كبير ترحيب من رجال القانون والشريعة وأبناء الحقوق أساتذة وطلبة وقضاة .

أما « فى الوقف على ماعليه العمل فى المحاكم الشرعية المصرية » فيكفى أن أذكر أنه لاقى اعجاب أستاذنا الجليل الشيخ احمد ابراهيم بك أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق وأكبر باحث مجيد فيها ، وكذا اعجاب زملائه أساتذة الشريعة - وعلى رأسهم أستاذنا الشيخ عبد الجليل عشوب

نائب محكمة مصر الابتدائية الشرعية – وحثهم طلبة كلية الحقوق على اتخاذه مرجعا مفيدا ، ورجوع أصحاب الفضيلة القضاة الشرعيين اليه فى بعض أحكامهم .

وأما « صفوة احياء الغزالى » فيكفيه شرفا اعجاب مجلة « نور الاسلام » به ، وتهافت الاقطار العربية على اقتنائه ، وأن وصفه صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون « بالقيم » .

وأما كتاب « التربية القانونية والروح الجامعية » فيكفيه فخرا أن أجمع حضرات عبد الحميد بدوى باشا مدير قضايا الحكومة وحضرات مستشارى محكمتى النقض والابرام واستئناف مصر الاهلية على تقـــديره ووصفه « بالقيم » و« بالثمين » و« بالمفيد » وبالنفيس » « وبالجليل » ومنهم حامد فهمى بك ومحمود صادق بك وأثربى ابو العز باشا واحمد مختار بك وعبد الله اسماعيل بك وأمين حسنى بك ومحمد نجيب سالم بك ومحمد لبيب عطيه باشا ، وان كان لايفوتنا أن نذكر ومرارة الحسرة تقطع وتين القلب ، أن كلية الحقوق صادرت الكتاب ، مع أنه لم يكن لغرض مادى ، ومع أنه كان يحث

الطلبة على حب اساتذتهم وعلى حب اخوانهم وعلى الجد وحب البحث والطموح ، وكنت عازما على رفع دعوى على ادارة الكلية لهذا التصرف الذى اعتقد أن الادارة لاتدرى عنه شيئا وانه تصرف معيب صدر من موظف صغير ظن أنه بذلك يحافظ على النظام رغم تلاعبه ووعده بتوزيعه على الجميع ثم على طلبة الليسانس ثم حبسه ، لولا أن الاخ الاستاذ «أنور احمد» معاون نيابة تلا تدخل فى الامر وسحب الكتاب وتفضل بتوزيعه على اخوانه ، ولولا أن فى رفع الدعوى مساسا بكرامة اخوان واساتذة أحبهم كل الحب وأخلص لهم كل الاخلاص ، ولولا أن من الروح الجامعية الجهاد فى سبيل الروح الجامعية وملاقاة كل الصعوبات التى تعترض هذا الجهاد بالصبر الجميل وبالحزم قبل العزم .

وكنت عازما على اخراج الحلقة الثانية من السلسلة العام الماضى عام سنة ١٩٣٦ ، لولا ما أصابنى من حالة نفسية عاقتنى عن مواصلة البحث والجهاد ، وأما وقد زالت — أو كادت تزول — فانى أعود للجهاد فى سبيل الروح الجامعية

وأعود هاتفا من اعماق قلبي بحياة هذه الروح ، وعهدى أنى سأواصل الجهاد إلى أن تخرج الروح من هذا الجسد فتقابل ربها راضية مرضية ! ! — ولا زلت عند عهدى الاول من أن تكون كل حلقة من ثلاثة كتب ، كتاب فقهى ، وكتاب اجتماعى جامعى وكتاب أخلاق ، غير أنى لا أذكر اسماءها لانى قد أوثر تقديم غيرها عليها ، واكتفى بذكر أنى سأبذل كل جهدى فى أن تتصل الحلقات وفى أن تكون السلسلة سلسلة فقه واجتماع وأخلاق وأن تكون خير خادم للروح الجامعية وأصدق معبر عنها ، وتحيتى اليك أيها القارىء الكريم وسلام الله عليك ؟

محمود على قراعه

منشية البكرى فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٧

مقدمة

* — كنا قد كتبنا عدة صفحات عن الجمال والحق والخير ، ونشرنا بعضها فى كتب لنا عن الجمال أخرجناها ونشرنا البعض الآخر فى الصحف ، وبقى الكثير منها غير منشور ، فآثرنا أن نجمع شتات أبحاثنا هذه مع تهذيبها وتنقيحها وأضافة مانرى وجوب اضافته عليها ليكون مكملا لها ومفسرا لنظريتنا الروحية فى الجمال ومقربا لمعانى الجمال لمن يبغى فهمها . وعندى أن الناس يفهمون العشق الحسى المتولد عن مباشرة الحس الظاهر ، فيدعوهم ذلك الى الحس الباطن ، فالتخيل بأن لا يبقى للعاشق — كما قال داود الانطاكى[1] — تخيل إلا صورة المعشوق وان شارك الناس فى الأمور الظاهرة ، فالحفظ بأن تصرف القوة عن تحصيل كمال غير المحبوب أو جمال غير جماله ، فالاستغراق بأن يستولى الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة

---

(١) راجع كتاب تزيين الاسواق فى تفصيل أحوال العشاق

المحبوب فى مرآة العاقلة وحدها مع محو ماسواها ،فالانقلاب بأن ينقلب ادراك العاشق فيحسب الأشياء الجميلة محبوبه وينسبها له ويفهمها كفهمه ويتجرد عن صورته الحسية الى معنى صورة محبوبه ، فينقلب هذا التجريد مع الاخلاص الى مرتبة قدسية على أن تكون النفس الناطقة خالصة بالكمالات عن البهيمية غير منحطة الى الحيوانية . لذلك عرف الاستاذ أبو يزيد البسطامى المحبة بأنها استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وعرفها الجنيد بأنها هى الصفاء فى الباطن مع حقائق الحق ، والوفاء فى الظاهر مع استعمال دقائق الشرع بنفى الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية . ولذلك كان خير السبل فى فهم الجمال الحسى ، فهم معناه ، لنصل من هذا الفهم الى حبه ، ومن حبه الى حب خالقه ، وفهم الروحانية فى جمال الصور لندرك الروحانية فى معانيها ، فالصلة بين العبد وربه من تقديس وعبادة واجلال ، بالبدء بالجمال الارضى لنصل الى الجمال القدسى !! ...

***

تمهيد فلسفى

لايعنى الروحانيون بالقلب اللحم المحسوس ، بل يعنون به سرا من أسرار الله عز وجل لايدركه الحس ، يعبر عنه بتعبيرات عدة أهمها الروح والنفس المطمئنة (١) . ويقول ابن سينا فى رسالة العشق بميل الأرواح للخير لأنه بذاته معشوق ولولا ذلك لمانصب كل واحد ممن يشتهى أو يتوخى أو يعمل عملا ، غرضا أمامه يتصور خيريته ، فلولا أن الخيرية بذاتها معشوقة لما اقتصرت الهمم على ايثار الخير فى جميع التصرفات ، وذلك الخير عاشق للخير ، لان العشق ليس فى الحقيقة الا استحسان الحسن والملائم جدا ، ولما كان الموجود المقدس عن الوقوع تحت التدبير هو الغاية فى الخيرية ، كانت ذاته العالى المقدس تعالى هى الغاية فى المعشوقية ، إذ الخير يعشق الخير بما يتوصل اليه من نيله وادراكه ـ ولذلك ترى

---

(١) راجع ص ٣٨ ـ ٤٠ من صفوة احياء الغزالى لمحمود على قراعة .

النفس كما قال الامام الرازى اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب عن عالم الشهوات ، كانت كأنها روح من الأرواح السماوية ، فكانت قوية على التأثير فى مواد هذا العالم . وان كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية لم يكن لها تصرف البتة فى هذا البدن ، فاذا أراد هذا الانسان الجاءها بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر وألزمها الرياضة قويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية . فاذا فارقت النفوس الأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفس المرتاضة فى قلوبنا وتأثيراتها ، فاذا صارت هذه النفوس صافية انجذب اليها مايشابهها من النفوس المفارقة ، وليحصل لتلك النفوس نوع مامن التعلق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة اذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الارواح السماوية والنفوس الفلكية فتقوى بأنوار تلك الارواح على أمور غريبة خارقة.

فمن شئون النفس - كما قال التلمسانى - انها كلما قل

اشتغالها بالبدن انبسطت وأعطت قواها ، وبالعكس اذا تلبست بالبدن حتى تبقى كالبهيمة البلهاء ، ومن خاصيتها أنها كلما ازدادت علما فعلمت به ، ازدادت قوة على ماهو أغمض وأرفع ، فلا هي تنحصر ولا الأمر ينتهي.

اذن كما قال المناوى على من أراد أن ينزع عن عالم الحس ويرجع الى ذاته ، أن يعمل على ركود حواسه الظاهرة ليقوى على أن يحس بما لايقع عليه الحس ، كما اذا أراد أن يسمع صوتا لذيذا من مكان بعيد يجب عليه اذا أراد أن يدرك مايمكنه منه أن ينصت مصغيا اليه وان يتعطل عما سواه . فأذا أعطت النفس ماعندها من بذل الجهد فيه تعالى ، أعطاها ماعنده مما أودعه فيها ، اذ خلق تعالى الارواح من عالم الجمال والقوة العملية المدبرة للبدن من عالم الجلال (١) . فالارواح تتصل بالنور والطيب والعلو والعلم والحياة ، واستدل الرازى على نورانيتها بأنه مادام الروح فى الجسد نورانيا ، فالعينان تبصران والاذنان تسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ

---

(١) وهذا يفسر معنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته

يتفكر . وعلى أنها من جوهر الطيب بأن البدن مصون عن الفساد والتفرق والانحلال ببقاء الروح فيه . وعلي أنها من جوهر العلم بأنه مادام الروح فى البدن نورانيا يكون البدن مرتفعا عن الارض غير ملتصق بها، وكلما ازداد الروح قوة زاد الارتفاع، وباستيلاء أنوار الروحانيات على روحه يأخذ فى الخفة بتلك القوة الروحانية التى تجذب من الارض الى عالم السماء. وعلى أنه من جوهر العلم، بأن محل العلم هو الروح وخص بالعلوم ما كان طاهرا مقدسا، وعلى أنه من جوهر الحياة بأن انقطاع أثره عن جزء من أجزاء البدن يميت ذلك الجزء ، وان تعلقه بكل البدن هو سبب حياته . ثم ذكر أن الروح كالشمس والحياة كالنور الفائض عن الشمس وكما أن كل جسم وصل اليه نور الشمس ، انقلب من الظلمة الى الضياء ، فكذا كل عضو يصل اليه نور الروح تنقلب حالته من الموت إلى الحياة . وهذا هو الذى حدا بنا إلى البحث عن الجمال والى ذكر روحانياته ، والى القول بأنه فى الحياة ، لانا نعد الجزء الغير جميل ميتا أو مشلولا أو غير ذى اشعاع روحى

ولما كان الجمال فى الاشعاع الروحى وفى حياة العضو الجميل ، كان اهتمامنا فى كتبنا عن الجمال أن نبين حياة الجمال وصلته بالحياة والفرق بين لذة الجسم ولذة الروح.... والنفس الانسانية كما قال حجة الاسلام الغزالى (١) ـ ليست جسما ولا جسمانية بل هي جوهر مجرد (أى ليست قوة جسمانية حالة فى المادة ، ولا جسما بل ولا مكانية لا تقبل الاشارة) متصرف فى البدن تصرف التدبير ، من غير أن تكون داخلة فيه بالجزئية والحلول.

وهذا الجوهر المجرد الحال فى هيكل البدن ، يستطيع ـ اذا كان من الجواهر السامية ـ أن يصل الى عوالم الباطن ويفهم أسرارها . وذلكم فيثاغورس عرج بنفسه الى العالم العلوى فسمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات علوية ـ كما قال صاحب التهذيب ـ نغمات لأفلاك وأصوات حركات الكواكب ، فاستعمل فى سمعه القوى البدنية وركب عليها الابحاث هى النغمات الموسيقية : وبذا كانت الفنون دائما

---

(١) واختار هذا الرأى الرازى والشهاب السهروردى وكثير من الحكماء والصوفية وبرجسون فى كتابه النشاط الروحى

منتزعة من الأرواح العالية ، خارجة عن النفوس الشريفة الجوهر .

وذلكم أرسطو وقد كان - كما فى كشف الأسرار عن أرسطوطاليس - يسمو إلى درجة الخروج عن البدن كأنه مجرد لا بدن له ؛ فيرى أنه داخل فى ذاته خارجا عن سائر الأشياء ويرى فى نفسه المتجردة من أثقال البدن أنواع من الحسن والبهاء مايعجب ويريه أنه من الجوهر الأعلى الأفضل الشريف وأنه ذو حياة فعالة . وبهذا اليقين رقى بذهنه من ذلك العالم الأرضى إلى عالم الجبروت الألهى وأصبح كأنه موضوع فيه ومتعلق به ، فرأى أنه فوق العوالم كلها كأنه واقف فى ذلك الموقف الشريف من تفهم الجمال القدسى ورؤية أنواع كثيرة من الحسن والبهاء ، فاذا استغرقه ذلك النور والبهاء ولم يقدر على احتماله ، هبط إلى الفكرة من ذلك العالم العلوى ، الى عالم الفكرة والرؤية ، فتحجبه الفكرة عن ذلك النور والبهاء ، فيتعجب من انحداره من ذلك الموضع الألهى السامي إلى الموضع الفكرى بعد أن قويت نفسه الخالدة على تحليق بدنها

والرجوع الى ذاتها والترقى إلى عالم الملكوت ثم الى عالم الجبروت حتى وصلت الى موضع البهاء والجمال والنور

وبذا ترى أن النفوس الكاملة زيادة على وصولها الى العقول تصل الى ادراك قوتها بتأثرها بالعقل النظرى (١) الذى تنتج عنه الحكمة النظرية فى ادراك الحق ومعرفة الاشياء على مايجب أن تعرف به والوصول بذلك الى الحكمة العملية فى معرفة النفوس مالها وما عليها فامتزاج الحكمتين بتهذيب الاخلاق ووصول الانسان إلى مراقى الخير تطلقه للكمال النظرى والعملى.

فنرجع بذلك بالانسان الى أصول الاخلاق الفاضلة فى اعتدال القوة الشهوية (النفس الامارة) بحصولها وفق اقتضاء النطقية فيسلم من استعباد الهوى له، ويعدل بذلك قوته

---

(١) قبول الأثر عن المبدء الفياض - كما فى التهذيب - لاجل الاستكمال يسمى عقلا نظريا باعتبار ان لفظ القوة يطلق على مبدء التغير والفعل وعلى مبدء التغيير والانفعال، وان قوة النفس تكون باعتبار أثرها عما فوقها من المبادىء للاستكمال بالادراكات.

الغضبية ـ النفس اللوامة ـ الراغبة فى التسلط الغير محدود ، فتتعدل بذلك قوة شجاعته فى انقياد الغضبية للنطقية فيعرف بذلك الحكمة فى معرفة الحقائق كما يجب ، واجتماع هذه كما قال سعد الملة ـ ينتج العدالة فى الوقوف بين طرفى الافراط والتفريط .

فنرى أن بين الجسم والنفس صلة نشوء كمالات ثانيتهما ولذاتها العقلية والحسية منه فخلوها فى مبدء خلقها عن الصفات الفاضلة من علمية وأخلاقية ونيلها لها بواسطة البدن ، ونستطيع بذلك أن نقرب لفهم قول الحكماء فى وجود واسطة بين عالمى الحس والمعقول تسمى بعالم المثل (١)

---

(١) يقولون عن هذا العالم .. كما بين صاحب التهذيب ـ ان فيه لكل موجود من المجردات والاجسام والاعراض حتى الحركات والسكنات والاوضاع والهيئات والطعوم والروائح مثال قائم لذاته ، معلول فى مادية ومحل يظهر للحس بمعونة مظهر كالمرأة والخيال والماء ونحو ذلك ، وقد يتنقل عن مظهر الى مظهر وقد يبطل كما اذا فسدت المرأة والخيال أو زالت المقابلة والتخيل ، وأنه عالم عظيم الفسحة غير متناه يحذو حذو العالم الحسى فى دوام حركة الافلاك المتتالية وقبول عناصره ومركباته وآثار حركات أفلاكه واشراقات العالم العقلى ـ المؤلف

وأنه ليس فى تجرد المجردات ولا فى مخالطة الماديات . وهذا ماأردناه فى نظريتنا عن الجمال اذ نريد أن نوصل القارىء الى فهم هـذا العالم لنشركه معنا فى المعرفة !!!

ولاتباع قوانين الأخلاق يجب ـ كما قال كانت ـ أن نفرق بين شكل الشىء الحسى الخارج عن الاتصـال بالأخلاق ، والكمال الخلقى المتصل بهذا الحسن .

والحسن إما صفات طبعية للروح فى الذكاء والعـدالة والمثابرة ، أو اكتسابية فى القوة والغنى ، وكل من الطبيعية والمكتسبة غريب عن الروح فى الحسن اذا قورن بحسنها المطلق فى الرغبـة الحسنة التى توصل الأشياء المحبـوبة الى ميولنا ، الرغبة الحسنة فى ذاتها لا لأنها موصلة الى ميولنـا أو خادمة لغرائزنا .

وما دامت الرغبـة الحسنة ـ الرغبـة فى كل حسن ـ واصلة فى نهايتها الى السعادة ، فهى خارجة عن الغـرائز . والسعادة هنا ليست كما يفهمها الناس ؛ لأن قوة العقل وهى روح الرغبة تملى علينا أن السعادة فى معناها العرفى أصغر من

أن تكون أقصى وجهة للرغبة ، ولأن الرغبة الحسنة — لاتتحد فى جعلنا سعداء بهذه السعادة العرفية . بل هى فى السعى للوصول الى المثل العليا وألى مرقاة الكمال .

فواجبى مثلا الابتعاد عن كل دنىء مهما كان لقلبى مالكا والنفور من كل صداقة غير صادقة مهما تحطمت سعادتى بفقدها ... وما السعادة اذا لم تكن متمشية مع الواجب ، وما هي اذا لم تسر تبعاً لقوانينه وما حظى منها تطربنى آنا ثم تمضى بعد الطرب وتلذع ضميرى لذعات الحسرة والندم ، كما أن واجبى يملى علىّ الاتصال بمن رأيت منه صادق رغبة فى الاتصال بى ، ويملى على مجاهدة نفسى على حبه اذا لم تكن به جاذبيات تدعو إلي هذا الحب . فنرى الواجب فى الحالتين مغايرا للسعادة العرفية لأن إطراب الغير والاحسان اليه والعطف عليه مادام يستحق هذه ، كلها ، أول داع من دواعى الواجب ، مهما كان فى الأطراب أو الاحسان أو العطف من انقاص للسعادة الشخصية أو تقليل للذة النفسية فى حرمانها من بعض شئونها .

على أن فى هذا الحرمان وفى هذا التقليل الظاهر للذات النفسية ،لذة أخرى يوحى بها العقل الذى نتخذه ناموساً للواجب تمليه علينا فكرة الرغبة الحسنة.

يرى كانت(١) أن هذا الناموس أمر معنوى يحدد شخصية الانسان وصلتها بذاته وبغيره ، وهو فى هذا التحديد غاية لا واسطة . فهو بهذا يهدى الى التجارب العقلية وصلتها بالواجب . ومنه ينتج أن كمال الواجب فى الحرية لأن وجوده دليل وجودها ، وأن قانون الحرية أو الواجب يسهل الرغائب (شرها وخيرها) ، وأنه لجعل الرغبة موجهة للخير يحمل القانون المعنوى احترام الشعور الخلقي .

ولكن لما كان حب الذات وما يتصل بها من مسرات يختلف اختلافا متباينا ، تختلف تبعاً له وجهة النظر فى السعادة كان ذلك مانعا لنا من سن قانون أخلاق واحد وبذا كان خير قانون يتبع هو القانون المعنوى فى الحرية ،

---

(١) راجع « كانت » فى مجموعة (الفلاسفة والمفكرين) لايجن برلييه بالفرنسية

القانون المنطقى : يجب على ، وبذا أنا قوى ، فأذن أنا حر ونرى من ذلك أن القانون المعنوى ناشىء عن الحرية ، وأن الخلق الكريمة تبعا لذلك داخلة ـ دخول وجوب مطلق ـ تحت الرغبة الحسنة ، تحت طاعة الواجب باحترام الواجب ، وباختيار حكيم للواجب نفسه ، وبذا كان الضعف الخلقى ثورة مندفعة قوية ضد الواجب ، ورفضا للتفاضل بين الرغبات وخلطا بين الواجب والرغبات مندفعا بالميل والفائدة وحب اللذة .

على أن الرغبة تعتبر ثابتة من حيث أنها تسر الحواس التى ينشأ سرورها عن تحقيق ميولها ، المتوجه الى حب الذات والاقتناع به ، فيأتى القانون المعنوى معارضا لحب الذات ، متوجها للعقليات وللتجارب العقلية ، مندفعا فى احترامها . وبذا كان أساس الرغبات الحسنة هو الاحترام ـ لا الخوف ولا الميل ولا الاعجاب ـ وهو الشعور الخلقى المتصل بالآخرين ، الخارج عن أن يكون لذة أو الما لأنه فوق هذين من حيث أنه لذة فوق اللذات ومن حيث أنه الم اضطرارى يبعثه الواجب

فيصيره بهذا البعث ، اللذة بعينها.

ولسنا نريد هنا أن نتحدث عن الاخلاق الا من ناحية اتصالها بموضوعنا ـ الجمال ـ لذا نقتصر على أن نذكر أن حكم الذوق ليس حكم المعرفة بل حكم الشعور باللذة والألم فنتساءل عن لذة الجمال هل هى سارة فنلفى الجواب « لا » ، لان لذة الشيء فى بقائه ومايحمله وجوده ، ولانا لانتكلم عن الفائدة حينما نتكلم عن الجمال ، لان الجمال شيء مغاير للموافقة والنفع وللحسن ! مغاير للموافق ، لان الموافق يسر الحراس ويثير رغبة تبعث الموافقة ! مغاير للنافع ، لان الشيء النافع يتصل بالنهاية بالمنتفع ويقتصر سروره على وجود النفع فحسب ! مغاير للحسن لان الحسن نهاية العقل الذى له فائدة التحقيق . . .

وبذا فالجمال ـ كما قال كانت ـ موضوع اقناع غير ذى لذة عرفية. وهو على هذا موضوع السرور والحرية واللذة الدائمة العالمية الغير محدودة ، الخارجة عن المادية ، المتصلة كل الاتصال بالروحانية ، الباعثة فكرة الابدية !!!...

***

مملكة الجمال

ماهو الجمال ؟

يقول لوك وكنديلك، نظريات عدة فى الحواس والضمير، هى أصول مباشرة لجميع الافكار الخاصة التى عرفناها من رايد وكانت . والتي وان كانت تختلف عن الحس والضمير ؛ لكنها تتمشى مع العقل أصل الفضائل الانسانية اذيتطور معها تطورا ضروريا .

يضاد كانت فى فكرته هذه نظرية السلطة المطلقة للعقل وللفضائل التى يرفعها العقل لنا والتى ترتفع هى نفسها لمبدئها الابدى ، ولمرجعها الاخير ـ الله الاول والآخر ـ تلك الحقيقة الروحية التى تجمع كل العقائد الانسانية. وبهذا نرى ضرورة التجارب وضروره العقل وضرورة فهم الحقيق الغير محدود ، أول الفضائل وآخرها، اقصى وصول الروحانية الى الروحانية!!

تبعت هذا التفكير ، دراسة الجمال التي بدأها افلاطون

وارسطو والتي لم تلاق ترحيبا في مبدأ امرها، فبقيت كالتربية في الفلسفة ووقفت طويلا اذ لم يتحدث من اتى من بعد هذين عن أنبل قسم في الفلسفة ولم يترك كوندياك فصلا واحدا، ولا صفحة واحدة عن الجمال ونظر خلفهم للجمال بنفس النظرة الاولى فلم يبحثوا كثيرا عن ايضاح سبيلهم غير أن ديدرو تحمس للجمال والفن حماساً كان بداية اذ لم يكن داخلا في اعماق البحث ولم يكن ذا مبادىء، وترك التأثير الوقتي بجهله ماهو النـــظري.

ولـكن خبرة ديدرو بالفن والفلسفة جعلته يعتبر هو وكانت الروح والطبيعة ولـكنهما لم يبدءا الاجابة عن السؤال الصعب القائل ماتأثير الجمال على عبقرية الانسان وما تأثير العبقرية على الجمال؟ فهما اذن لم يواصلا بحث هـذا الموضوع النبيل من جميع نواحيه.

نستطيع الآن دراسة الجمال كما درسه المسيو كوزان بطريقتين أولاهما في خارجنا وفي أنفسنا، وثانيتهما في الاشياء التي تقدم لنا صورا أو بمعنى آخر في الروح الانسانية، في أعمال

الانسان ، فى أفكاره وفى شعوره . أى أننا نبدأ بالانسان لنصل الى الأشياء ، فالتحليل الاجتماعى إذن سيصبح دعامة دراستنا إذ أننا نحضر بدراسة حالات الارواح ، الجمال المعتبر فى أنفسنا وفى الأشياء جميعا[1]

نتساءل الآن عن روح الجمال ، أليست هي ظاهرة تواجهنا فى أشياء خاصة ، فى حالات مختلفة ، نحكم عليها حكم الحب والاعجاب حكما ننطق به آونة ! ويبدو فى بعض الأوقات صيحة إعجاب وفى أوقات أخرى يظهر صامتاً إذ يرتفع الى الروح التى يؤلمها ضميرها . ظاهرة وان اختلفت أشكالها ، لكن الملاحظة تظهرها ، فكل من الصغير والكبير يلاحظ ، وكل من الحقير والعظيم يلاحظ ولها فوارقها فى الملاحظة ، لكنها موجودة عند الناس جميعا . ولها فى كل لغة ألفاظ تعبر عن معانيها . هى كلمة (الجمال) تحوى معانى عدة تدخل تحت الاعجاب والحب والتقديس والحاسية والعقل ... لكن الفلسفة على عظمتها ، الفلسفة التى استطاعت أن تجذب جميع أفكارنا الى

---

(1) Du beau, du vrai, et du bien : Par Cousin .

الحواس، الفلسفة العظيمة، الفلسفة القادرة ـ فشلت كل الفشل أمام فكرة الجمال . وإلا فأى فيلسوف استطاع أن يوضحها لنا عن أقوم طريق لايضاحها وهو الشعور ! لم يستطع أحد ، وكل ما استطاعوا أن يقولوه ان هنالك الحواس المختلفة التى يختلف شعورها بالحسن والجميل ! : هذا نجاح نقر للفلسفة به ! لان الذهاب للشعور عن طريق الحواس ـ كما ذهب هخسن وسمث ـ طرق على باب البحث !!

ولكنا نعتقد واثقين أنه يجب أن نمزج بين الشعور والعقل بنظرية مختلفة فى طبيعتها ، مختلفة بين شخص وآخر تدلنا على أن الشعور قائم بذاته ، وان الشعور اذا لم يكن مبدأ فهو ظاهرة حقيقية هامة ، وانه لفهم الجمال يجب علينا أن نفهم الشعور بعد فهم العقل . قف أمام مثال من الطبيعة حيث يفهم الناس الجمال ، ومثل لنفسك ماذا يمر بك من النظر الى هذا الشيء ؟ ألست ترى فى نفس الوقت الذى تحكم فيه على جمال الجميل ، شعورا بجماله ، بل احساسا به ، إذ يمر أمام ناظريك تيار لذيذ ، يجذبك الى هذا الشيء بشعور حب وعاطفة ، يرقى

بك الى الشعور بجمال معانيه؟ وانه كلما جمل الشيء كلما كان شعور الروح حيا وتبعه الحب العميق المستمر ، وان الاعجاب ينقص بالحكم ويحيا بالشعور فيكبر فى الروح حركة تقويه، فيصبح الشعور الروحى حماسا

* * *

ما جمال الاشياء ؟ ما الجميل فى نفسه ؟ ما صفاته ؟ وما أنواعه المختلفة ؟ ما غرضه الأول والأخير ؟

لاريب فى أن الشكل ليس مجرد شكل فى نفسه بل شكل شيء آخر ، وبذا نرى أن الجمال الحسى علامة الجمال الداخلى ، جمال الروح والخلق . . فما هو عمق ومبدء وحدة الجميل اذن ؟ . .

يحوى كل الجمال جمالا حقيقيا، لأن هذا الجمال الظاهر أقل من الحقيقة ، لانه جمال حيث ما وجدت فكرة انه جميل والفكرة لاتستمر فى الشخص ولا فى الجماعة ، لاتثبث ، ولكن الطبيعة والتجارب ضروريتان لفهم الفكرة عن

الجمال بلا وقوف ، فتقدير الفكرة ليس تقدير الظاهر بل هو تقدير الحقيقة الذى يصل بنا الى فهم الفكرة فى دورها الأخير ؛ فى اللا محدود ، فى الله ، فى الحقيقة المطلقة التى اذا ما فهمناها ، استطعنا أن نعرف أن العلة الأولى هى أصل كل جمال من حسى ومعنوى ومدرك لانها هى التي أوجدت هذه جميعا ، وقبل ان توجدها لم تكن موجودة.

ما الجمال الحسى ؟ أليس هيكل جمال الادراك والمعانى ؟

ما جمال الادراك ؟ أليس عظمة الحقيقة فى مبدء كل الحقائق ؟

ما جمال المعانى ؟ أليس ما احتوى على عناصر ظاهرة متساوية مختلفة فى جمالها تجمع عدالة واحسانا وحبا وحرية وقوة. وأليس جمال العالم دليلا على جمال صانعه ؟ هذه الحقيقة المطلقة حقيقة أن الله جميل ، مطلقة فى ذاتها وفى داخلنا وخارجنا لأن جميع مظاهر الوجود تبدى جمال الخالق وجمال حبه لمخلوقاته .. فالله جميل بلانهاية ، لأنه جميل فى عقولنا ، فى خيالنا وقلوبنا ، يقدم بجماله للعقل فكرة سامية ، وللقلب

ذكرى محبوبة ، وهو كذلك رائع ، اذا ماسمعنا من أفق الفكرة ، صوت عظمته ، فهو المحسن العادل ، الرحيم ، الجبار . . به الحياة . . به النور . . به الحركة . . به الجمال . . هو مطلق وحدته لوحدة الابدية ، فهو وحده مالك وحدة الروعة والجمال ، فهو الجمال الدائم ، منه نستمد كل جمال . وهو الجمال الذى لايفنى ولايتغير لانه منبع مالايفني ولا يتغير . . منبع الجمال المطلق ! ! . . .

هل الجمال حقيقة ؟

أم مجرد ظهور ؟

١ – قد تكون « الموافقة » هى وحدها التى تجعل الاشياء تبدو جميلة ، ولكن هل الجمال مجرد مظهر ؟ أجاب سقراط عن هذا السؤال بقوله ان القوة الكامنة جمال دائم والضعف قبح مستديم ، ولكن يجب أن نضيف الى ذلك

أن قوة الشيء ونشاطه لن يكون جمالا إلا اذا أحسنت قيادته الي غرض جميل وبذا ترى الحسن والجميل متصلين اتصال السبب والنتيجة ، وان كان هناك من يمقت البحث فى فلسفة الجمال متوهما ان محاولة الوصول الى أسراره يمحو سحره ، كما أن الحصول على الشيء المراد نيله يقلل من لذة متابعة جهاده . غير أن مايهمنا فى مملكة الجمال ان نبني البحث عن الجمال على البحث عن مبادىء الذوق ، لأن تغاير التأمل فى الجمال يرجع اليها ! . .

وأول غرض نولى وجهنا شطره فى البحث عن الجمال يجب أن يكون الحب ، ذلك الحب الذى يرفع صاحبه من ضعة التفكير والشعور ، الى فهم الجمال ، على أن هناك وراء غرض الحب ، غرضا روحيا لا يمحى ولا يزول ، وهو أن الباحث فى الجمال يجب أن يوازن بين الاشكال الجميلة المختلفة

فبيننا الذين يحبلون الجمال يجرون وراء شكل واحد جميل ، يدرك طالب الجمال ان الجمال فى أى شكل واحد فيصبح بذلك محبا لجميع الاشكال الجميله ، ثم يدرج من

هـذا الحب الى اعتبار جمال المـدارك والى معرفة ان الجمال المعنوى خير من جمال حسى يزول ثم يدرك من معرفته: جمال المعنى ، وجمال القوانين الشرعية والوضعية والمواضعات التى اتفق الناس عليها ، ومن ثم ينتقـل الى ادراك جمال العـلوم فيدرك من هذا وذاك أن الجمال الحسى والجمال المعنوى من أسرة واحدة وأن اختلفا بقدر القوة والتفاوت

فالدين مثلا «جمـال» بل هو أروع أنواع الجمال لانه قانون رب الجمال وخالقه ، ولـكن روعة الدين الـكامنة وجماله لا يبدوان الا حيث وفاء كل متدين لدينـه واخـلاصه لربه وحسن معاملته لاخوانه ، على أن لا يداخله رياء أو يدنس قلبه حقد أو ضغينة . فهذا الجمال وحى الايمان الـكامـل والثقة الحقة بالله مع اجـلال الخالق بتقديسه فيما خلق لنا من جمال حسى وجمال فى الطبيعة وجمال فى المعانى وبذا ترى الجمال سلسلة متصلة الحلقات ، وبذا ترى ارتباط الشعور الحى ، بالعاطفة الشريفة والخلق الجميل والايمان الصادق . . هذه المجموعة الـكاملة هى ما أسميها جمالا .. وخلاصتها .. ضمير حى وقلب

موله باالجمال مؤمن بالله مقدس للجمال الذى خلق الله ، الى روح عالية تتلاقى مع الارواح العالية فى ملكوت الله ..وبذا ترى جمال الاسلام مثلا فى روعة معناه وفى جمال القرآن الكريم قانونه المعجز فى حسن تأليفه من الله الذى انزله على محمد نبيه ، وفى التئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته فى صورة نظمه العجيب وأسلوبه الجميل الذى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعته وتعتريهم هيبته عند تلاوته لا يمله قارئه أو سامعه ، بل تزيد قراءته حلاوة تذوقه ، وفى فهم معناه زيادة لحلاوته ؟!... وبذا ترى أن الجمال حقيقة فى كل شىء لامجرد ظهور كما يحسب الغافلون !!.

٢ — ولذا تبحث فلسفة الشعور فى التفرقة بين الجميل والموافق وفى السبب الذى يدعو الجميل الى أن يكون اكثر موافقة للحواس لاسيما النظر والسمع . فنجد أن ليست كل الاشياء الموافقة جميله ، وبذا ترى أن الموافق ليس هو الجميل وبذا نفرق بينهما حافظين لهما تناسبهما وأن ليس الموافق قياسا للجميل الا أنا قد نجده فى أعلا درجاته وقد نفقده

ذلك لأن الموافقة تختلف باختلاف الامزجة وبحالات المرض والصحة وحالات الجو والاعصاب ، ولذا قد يوافقنى اليوم وأنا فى الصيف أن أخرج الساعة العاشرة مساء وأن أجتمع بأصدقائى فى حفلة سمر ، بينما أراه فى الشتاء خرقا منى أن أتعرض للبرودة مهما عز اللقاء ، وكذلك أنا أبغض اللون الأحمر الخالص فى الثياب ، بينما يعجبك أنت ويسرك وفى المرض تعاف لذيذ الطعام ، وعند ثورة الاعصاب لا تتحمل أن يكلمك أحد بينما تراه فى حالتك الاعتيادية من لزوميات الحياة ومن واجبات الاتئناس — هذه هي الموافقة تتغير وتتبدل لكن الجمال ـ الجمال كحقيقة ـ لا يتعلق بنا بل نحن مجبرون على الاعتراف له بقوته وسحره!

عند ما نقول هذه حقيقة أو هذا جميل نجد أن الحكم المطلق الذى يمليه العقل على جميع الناس ، هو الذى يوحى لنا بهذا القول ، وليس للشعور الخاص دخل فى هذا الحكم لأن للشعور أن يحكم على الموافق ، فحكم الجمال اذن مطلق وان اختلف تقديره بنوع الشعور وبقدر اختلافه ، ولذا كان

الاحساس بجمال الجميل هو شعور بتيار لذيذ يمر بنا عند رؤيته يجذبنا الى هذا المثال من الطبيعة بشعور الحب والعاطفة وبوصولنا الى هذا الحب نصل الى حكمه ، لأن الحب حكم الجمال كما أن البغض حكم القبح !!

قف أمام أبى الهول الصامت ، وقل لى أى نظريات فلسفية يوحى حبه اليك ، والى أى عالم من الخيال يصل بك الوقوف ؟ تجد أنك أمام أبى الهول تشعر بنوع من الجمال هو جمال العظمة ، وتشعر بحب هذا الجمال ، وهنا حب الجمال ليس رغبة لأن الرغبة حركة امتلاك ، الرغبة بنت الحاجة ، وأى امتلاك تستطيعه لأبى الهول ؟ لن تستطيع ! ولكنك أحببته لجمال صوره لك أشعرك بنقصك وأنت فى القرن العشرين عن قوة الفكر التى كانت لآبائك الأولين ، فأشعرك جمالا كان آخر مقنع لرغبتك الملتهبة فى أن تملكه ، ولن تستطيع ذلك فتجد أنك تقدس فيه معنى أسمى من الامتلاك ذلك هو الشعور الذى بعثه فيك ، ولما كان شعور الجمال حراً ، والرغبة مقيدة لانها تبغى الامتلاك ، تجد نزاعا بينك وبين نفسك فى نفس

الوقت ، لأن الرغبة تحول بينك وبين أن تعرف آلام العاطفة ، التى أوحت اليك بجمال أبى الهول ، وما تزال حائراً حتى تدرك من نفسك أن الرغبة سخف ، وبذ تقلع عن التفكير فيها وتقنع بالعاطفة توحى اليك صوراً شعرية تشتى تمدك اياها عظمة أبى الهول الرابض ! !

اجلس على مائدة طعام نخم [1] تتحرك فيك شهوة الطعام اذ تسر بألوانه المختلفة أمام ناظريك ، ولكن أليس من الحمق أن تسمى هذا السرور شعوراً بالجمال لأن الشعور بالجمال كما قلنا لك ليس رغبة ولا حاجة ، وأنت أمام المائدة محتاج للطعام راغب فيه ، لكن لماذا هذه الازهار والرياحين الجميلة حولك ؟ هل هى لتلهب رغبتك فى الطعام ؟ طبعا لا لبعد الصلة بينهما ! اذن لماذا وجدت ؟ لاريب أنك تدرك أنها وجدت لا لتلهب الرغبة فى الطعام ؟ بل لتجعلها شريفة ! !

٣ — ثم هذه (فتاة) ذات خد أسيل وطرف كحيل ساحر

---

1) Du Vrai,du beau, et du bien: Par Cousin.

وجبين وضاح كأنما نظم من اقاح ، وشفة ذات لعس ، وخصر دقيق لين رقيق ، وجيد كبدر فى جنح الدجى ، وأنف رقيق ذى بريق ، وحاجب حجب الهوى عن النظر ، وكف ألين من الحرير وأنعم ، وقدم يكاد ينفطر من اللين ، حوت الجمال كله . . . نظرت اليها ، ورنوت . . . فتجد أنه كلما رق شعورك وعظم حبك للجمال كلما قلت الرغبة اليها كمتعة جسمية وزادت الرغبة فيها كباعثة للذة روحية ، ولذا نرى المصور الذى يبلغ أقصى درجات الانتصار للفن هو ذلك الذى يوحى الينا معانى الجمال بتصوير هذه الحسناء بريشته ، ولن يصل لهذا الا بايصال شعوره الروحى الينا ، واذا سألنى القارىء عن كيفية ايصال هذا الشعور والشعور بالجمال شعور خاص ، فانى أقول بأن فكرة الجميل فكرة بسيطة ، فاذا ما عمد المصور الى البساطة فى فنه ، استطاع أن يعطينا فكرة مجملة عن جمال الحسناء وان كانت تقل كثيرا عن روعة حقيقتها !!

٤ — ولذا نتساءل عن حديث الشاعر أو الكاتب عن

عواطفه المهتاجة ، وهل يستطيع مهما سمت عبقريته أن يصور لنا حقيقة عاطفته كما هى من غير ما نقصان ؟ وهل فى تصويره تلك العواطف لا تقسو العاطفة عليه فيذهب اكثرها زفرة ممضة ، أو أنه مقضة ، أو إعجابا بالغا يطرب قلبه ، فينسيه ذكر كثير من مناحى حبه ، فيترك تصويرها فتبدو عاطفته المهتاجة أقل من حقيقتها ! ! . . .

رأيت فى المترو — منذ عشرة أعوام — فتى جميلا مسلولا ممسكا بزهرة ذابلة ينثرها على ملابسه ، وهو مضطرب النفس يعلو صدره ويهبط ، وكلما قسى السعال عليه ، قسى هو فى نثر زهرته . . أثر فى نفسى رؤية هذا الجمال مجموعا ، جمال الفتى وجمال غضبته على زهرته ، فارتحت لوجوده بيننا وشعرت شعوراً حلواً هادئا بتلك الأويقات التى قضيتها فى المترو أرنو اليه متحسراً على جماله الذابل . . . هذه الصورة . . . صورة الاعجاب بجمال الفتى ، والحزن العميق لما أصابه من ذبول . . هذه الصورة الجميلة ، لم أستطع تصويرها بأكثر من ذكر تلك الكلمات المقتضبة التى ذكرتها . . فهل تلك

الكلمات معبرة عن جزء صغير من ناحية من نواحى نفسى ، فى ذلك الوقت ، ! ! . . وهل هى ذاكرة شيئاً عن قوة حبى لتلك الصورة وتأثرى بها ورغبتى فى دوام النظر اليها ، يتنازعنى اعجاب عميق وحزن أليم ؟ . . وهل إذا عمدت إلى الكلمات المرصوصة التي يعمد اليها الكثيرون من الشعراء والكتاب ، بمستطيع أن أرجع بالذكرى إلى ذلك المنظر المحبوب الأليم ... لا ! .. لا ! ..

تلك الصورة الشعرية ، اعطها لشاعر كبير ، أو لمصور ماهر ، فماذا يستطيعان أن يعملا ؟! .. صورة تقريبية . . . ولكن هل هى بمستطيعة مهما نبغ المصور ، أن ترجع لى جمال تأثرى بشاعريتها ؟ ! ماقلته عن هذين ، أقوله عن الموسيقى ، فهو لايستطيع أيضا وكل الذى يستطيعون عمله ، هو تقريب تلك المعانى وتصويرها لا على أنها الشخص الحقيقى بل على إنها صورة (فوتوغرافيا) له ... إذن .. فماذا عسى أن تكون حقائق عواطفنا ، وهذا قدر قوة صورها ؟ ! .

تصور معى أيها القارىء ، صورة آدمية جميلة ، شاقك

منظرها ، فأحببت صاحبها ، ثم رنوت اليها معجبا ، فسحرتك عيونها ، ثم بخل عليك صاحبها بالنظرات ، هل تعتقد أن حسام الدين الحاجرى وفق كل التوفيق فى ذكر حقائق عاطفته ، فى موقف كهذا ، حين يقول

يابا خلا أبداً على بنظرة ... يفديك من بحياته لك يسمح
جرحت لحاظك اب قلبي فاغتدى ... دمه من الجفن المسهد ينضح
لام الوشاة على هواك وقصدهم ... نصحي بذلك فأفسدوا ما أصلحوا
ماتنقضى بجفاك عنى ليلة ... ألا وقد أيست أنى أصبح

نحن لا ننكر أن الكلام يعبر عن مكنونات الفؤاد ويصف الشعور ، وأن الشعر والكتابه التصوير والتمثيل والموسيقى أقرب المعبرات وأدق المصورات ، ولكن الذى لاحظناه فى أنفسنا أن كلمة مثل «الحب» نذكرها فيفهمها الناس بما وضعوا لها من تعريف ، لكن هل يستطيع أى محب أن يخرج لنا صورة حقيقة حبه ، كما هى ؟ .. الجواب فى أنفسنا جميعا ، .. لا .. انما يستطيع العبقرى أن يقرب معانى العواطف الينا ، لايخرج لنا حقائقها ، فحقائق العواطف الينا

وحقائق المعانى جميعا أدق من أن تصل الانسانية إلى وصفها كاملة غير ناقصة ... لذلك ، لايكفى لشعورك بمعنى الجمال ، وهو الذى يهمنا هنا ، أن تقرأ شعرا أو نثرا يصف الجميل ، لأن جمال الجميل معنى لايستطيع الشاعر أو الكاتب أن يوقفنا على وصف كامل له ، فما بالك وقد نقلته عنه ؟! .. : ولكنا ووجهتنا أن يفهم الناس الجمال على حقيقته ، نرغب اليك ، أن تدرس الجمال بنفسك ، وأن تتذوق معانيه أنت بروحك .. خذ مثلا كلمة الدلال فسرها بما شئت ، فانى واثق أنك لن تستطيع فهمها ، إلا إذا درست الجمال ففهمت الدلال وخذ مثلا قول شاعرنا (جرحت لحاظك لب قلبى) ، فانك لن تستطيع الوقوف على معنى جرح اللحاظ للب القلب ، الا اذا رأيت جميلا ، وفهمت ذلكم الجرح فى أعماق قلبك!

* وهكذا قد يمزج اعجابنا — بجمال مظاهر الطبيعة — بحزن عميق لنصورنا فناءها ، كما رأيت ذبول ذلك الجمال الساحر .. فيأيها الشعر الجميل ، ويأيتها الفلسفة الناضجة ويأيتها المعانى السامية هل للجمال حدود ؟!.. لا !. لا

الحلاوة رقة ولطف وخفة وقبول النفس لأعراض الصور أما الروعة ففائقة مع وجود صفات جمال بمجموعة ، وروعة الحسن جاذبية تستميل القلوب الى صاحبها ، ولقد قلنا ان حب الجمال حكم فاذا كان الحكم شعوراً وخيالا ناتجا عن شكل محسوس بقى هذا الشكل نفسه فى الذاكرة كما رأيته وكما شعرت به وكما حكمت عليه ، فالذاكرة اذن صورة ؛ وهذا أعمق معانى الخيال.

لم نقل أن الشعور خيال بل قلنا أنه الأصل ، إذ أن الشعور هو سبب الحرارة والبرودة فى الحياة فالشاعر الصادق هو شاعر الخيال الذى يقتنى أثر صور الطبيعة والشعور مصورا كل الافكار العالية للعدل والحرية ولجميع المعانى الخلقية . والخيال يتوقف على الذوق فجماله فى سهولة وبساطة الفكرة العميقة ، فى تطور الحادثة ؛ فى اختلاف الشخصيات ، وفى مثل أعلى يختلف عن خيال ألوان العاطفة ، فالاعجاب يبعث حب الجمال وشرف حبه فى نفس المعجب ، فالجمال جميل بذاته وجميل بحسن شعوره وشرف معرفته ، والاعجاب الكامل

علامة القلب الشريف. وانا نحب الصديق ونتباحث فى الباعث لنا على حبه ، فنجد درج محبتنا استحسانا لأنه قد لا يكون جميل الصورة ، ولكنا نتمثل فيه جمالا فائقا ، لاستحساننا أخلاقه تصادقا ، واعجابنا به توافقا ، فنرغب فى دوام النظر اليه وان كان فى نظر الناس «غير جميل» والقرب منه فينقلب الاعجاب ألفة بوحشة اليه عند فراقه والشعور بثلمة وفراغ عند فقده ؛ وبذا تتطور صداقة الوفى الى حب وعشق . يأخذ الشاعر هذا المعنى فيصوغه شعورا ، فنتمثل الصديق الوفى خيالا لندورته ولانه عزيز ولروعة جماله ان وجد ! ! .

الزهرة الجميلة لماذا أحبها ؟ ! لاريب فى أن وحدتها ، ترتيبها ، تناسقها ، وتركيبها هى جميعاً بواعث حبها . فلو وجدت كل هذه مع فقدان صفاتها ، صفاتها كوردة لهار أنحتها ولها جمال لونها فى اختلافه ، لما عبأت بها ، لان جمالها فى حياتها وليس من جمال بلا حياة . والحياة التحرك والاختلاف . . . فالالوان ، والاصوات ، والاشكال والحركات تبعث فكرة الجمال والشعور . وهذا هو الجمال الحسى la beauté physique

والروح ، والحقيقة ، الاخلاق ، الذكاء ، المبادىء القويمة العبقرية ، الفن ، الشعر ، الفلسفة ، العلوم ، وكل الجمال الذى يشبه جمال الطبيعة وله منها أمثلة هو جمال الادراك .

(la beauté intellectuelle) والحرية ، العدالة ، البطولة ، الاحسان ، الوطنية وكل مثل أعلى للجمال هو جمال المعانى (la beauté Morale) فجمال فى كل شىء ، جمال فكر ، جمال شعور ، جمال أعمال ، جمال معانى . كل هذه الانواع تدعونا الى التفريق بين النافع والجميل . فالنافع ليس دائما جميلا ، كما أن الشىء الجميل ليس دائما نافعا . والشىء النافع الجميل ، جميل من وجهة أخرى غير وجهة نفعه . وكون الاعجاب غير النفع ، نظرية فلسفية قديمة تنظر للجميل بنهاية صلاته . فتقول ان جمال الجميل ليس لنفعه بل لانه كما يجب أن يكون . . والجمال مختلف فى أنواعه يختلف الحسى فيه عن المعنوى ، وليست بينهما صلة غير صلة روعته ، فيأتى الفنى ويصل بينهما ، ويرينا أن روعة الفن فى تصويره الجمال كشىء واحد يختلف ! !

خذ رجلا يضحى بسروره وسعادته فى سبيل واجبه . أو بطلا يضحى بالقوة فى سبيل الحق . أفلا يظهر لك وجهه جميلا رغم أنه وجه عادى ؟! أو قبيح ! فسقراط مثلا على سرير موته بعد شربه السم . . جميل . . رغم قبح صورته ورغم اصفرار وجهه من الموت . . هذه العظمة المعنوية التى بعثها تخيل منظر سقراط ووجهه الذى يشع جمالا انما مبعثه الروح الجميلة التى كانت تسكن هذا الهيكل — هيكل الجسم . . وبعد قليل ينمحى جمال وجه سقراط . . اذ يظهر اصفرار الموت بمنظر المادة التى تركتها الروح وان كانت خرجت بها الى روعة أبدية ! ! .

وسعد زغلول على سرير موته ، جميل ، لايزال يحفظ جمال وجهه الذى بعثه ذلك السحر ، سحر تلك الروح العالية سحر تلك النفس الجميلة ، عزف ذلك القلب الكبير ... ليس بعينه فتور .. لكن بها فتون .. فتون العظمة .. ولاتزال تنظر . . حتى ترى سعدا مورم الوجه أصفره . . فتربأ أن تنظر للوجه ، لأنك لن تجد الروح التى كانت تبعث الحياة

فيه والسحر له .. فتولى وجهك شطر الخيال .. حيث تسكن تلك الروح فى عالم الأبدية .. فسحر العين الجميلة أول مايلفت نظرنا ، لكن اذاوجد جمال ذكاء وجمال روح ، تحول النظر من فكرة جمال الوجه الى فكرة التمتع بجمال الذكاء والروح ..

صورة المغفورله سعد زغلول باشا

صورة الشهيد محمد عبدالحكيم الجراحي وشقيقاته السيدة زينب

Pour le Tombeau d'Hakem

Le Rêve t'imposant son invincible abrat
Tes vingt ans s'enivraient des promesses du Verbe
Et déjà l'avenir tournait à ta gerbe
Dont les femmes épis murissaient en secret.

L'espoir de la moisson, hélas, encore en herbe,
N'est plus rien aujourd'hui qu'un tragique regret.
Au destin exaltant que l'Art te préparait,
Tu préféras la Mort. Et ton choix a fait superbe

La Poésie en pleurs mêle, sur ton cercueil,
Aux fleurs de la pudeur la palme de l'orgueil.
Car si ton cœur ardent, défiant la chair hostile,

L'offrit pour un sol libre en brisant tes barreaux,
C'est que l'amour de Beau sait être un évangile
Qui prépare un poète à mourir en héros.

Gabriel

La Touche novembre 1935

فالشهيد الطالب (محمد عبدالحكم الجراحى) كان جميل الصورة ولكن جمال صورته وسحر هذا الجمال يتلاشى أمام جمال روحه وجمال قلبه وقوة يقينه وشرف نفسه ، ويتلاشى أمام جمال ابتسامته فى موته على مابه من آلام جراحه لاعتقاده أنه مات فى سبيل الحق وفى سبيل مصر .

فالمادة بمفردها لامعنى لها ولاجمال ، إنما جمالها فى حياتها التى تبعثها الروح ، واذا فارقت الروح جميلا ، ذوى وذبل جماله بل فنى ، فأجمل صورة فى الوجود تفقد سحرها اذا فسدت أخلاق صاحبها أو كانت نفسه شريرة ، بل وتدعو الى الازورار والبعد عنها .. وقد يدل جمال الشكل على جمال داخلى ، معنوى وروحى كما يحدثنا التاريخ عن جمال الرسل الكرام ومنهم يوسف الصديق وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وكما تدل الصور الحسية للكثير من المصلحين والزعماء كصورة مصطفى باشا كامل والامام محمد عبده ، وكذا صور الكثير من رجال الفنون والآداب . خذ مثلا ملك التصوير رافائيل وقد أفشت له الطبيعة أسرارها ،

فأفشى لها سر قلبه فتفانت فيه وتفانى فيها ، فصور الشعور والعاطفة ، فصور حلم الكمى (١) ممثلا فيه النزاع بين الواجب واللذة . فأجاد لشاعريته ولانه كان بين نارى الحب (٢) وما فيه من عاطفة والواجب وما يبعثه من شعور . بل ذهب به هيامه بالجمال أن أضحى خياله شبيها بالحقيقة ، فصنع صورة العذراء والمسيح عليهما السلام ، فأخرجها فكانت تتمثل للعين بشرا سويا لما أتقنه من تلوينها حتى بات جمال صفائها ظاهرا للعين كأنه حقيقى - كما قال الدكتور سبر نجران - بل صور نفسه إذ شغف بها ، لالها ، ولكن لجماله ولعينيه الدعجاوتين اللتين تمدان الفنى من سحرهما قوة ، وصور صورة الدفن فجمع بين العواطف والحواس بارزة فى وجوه محبى الفقيد والحزن البادى على سحنهم : وهكذا عاش بين حب وعاطفة وفضيلة الى أن أرداه الموت وعلى قبره نقشوا ما معناه « كانت الطبيعة تخشى فى حياته أن يفوقها وهى تخشى الآن بموته أن تموت » ! . .

---

(١) الشجاع (٢) اذ أحب فتاة بستانى تغسل قدميها فى ينبوع

صورة رفائيل

ومن الامثلة الحية لجمال روح الادباء طرفة ابن العبد (١) ، فقد كان فتى جميلا مات شابا صغيرا لا يتجاوز العشرين ، يعنينا أن نرى فيه مثلا لاضطراب نفس شاعرة بين الحسيات والمعنويات ، شاعر تتنازع نفسه بين المادة والمعنى ، فتنتصر

(١) راجع ص ٨٠ ، ٨١ من ادب العرب فى الشعر الجاهلى لمحمود على قراء

لديه المادة لقوتها عنده ، وينخذل المعنى لضعفه فى نفسه . ثم نراه بعد ذلك يحن للمعنى الذى خذله فلا يواتيه ، فيهجره ظنا منه أنه انتصر عليه ثانيـة ، وهو فى الحقيقة ينازع نفسه ، فتغلبه ، فاذا ماغلبته سار فى طريقها سـيرا حثيثا ممعنـا فى اللذة غير عابىء بمابعدها .. لكن الشاعرية تمض ، إذ تتزاحم المعانى فى فـكره ، فيخرجها ، أجمل ماتـكون ، ويفرج عن نفسه باخراجها ، وفى اخراجها معنى من معانى اللذة يحسبه هو تصويرا لمعانى الالم .. وهـكذا يمعن فى اخراج معانيـه التى لاتعنيه كلذته ، فتخرج واضحة جلية ، صافية نقية .. وهو فى هذا وذاك شريف النفس تواق الى العلى .

* واذكر فى الملوك « فاروقا » فقد أبدع الله سبحانه وتعالى صورته وجعل جمالها دليلا على جمال قلبه وقوة خلقه وصدق ايمانه ، ففى كل يوم دليل على قلبه الـكبير وفى كل يوم مثال لروحه العاليـة ، وما اختلاطه بالشعب ، وما حنانه ، وما عطفه ، وما حبه لشعبه ، وما قيامه بفرائض ربه وايمانه به ، وما احسانه للفقراء والمساكين ، وما وفاؤه لذكرى أبيـه

العظيم وصلة رحم أسرته الكريمة، الأدلة ناطقة على جمال داخلى صحب الجمال الخارجى .

* وكذلك جميل كل الجمال سعيد بن جبير الذى عاب على الحجاج سيرته ولم يخش فى الحق قوته وسيطرته . . قال ماسمك . . قال سعيد بن جبير . . قال بل شقى بن كسير . . قال أمى أعلم باسمى .. قال شقيت وشقيت أمك .. قال الغيب يعلمه غيرك . . قال : لابدلنك بالدنيا نارا تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك ماتخذت إلها غيرك . قال : لاوردنك حياض الموت . قال : إذا مت شهيدا كنت حقيقة سعيدا قال : ماتقول فى الخلفاء . قال : لست عليهم بوكيل . قال : ماتقول فى عبدالملك بن مروان ؟ قال : مالك تسألنى عن امرىء أنت ذنب من ذنوبه . قال : انى قاتلك . قال : إن الله قد وقت وقتا أنا بالغه ، فان أجلى قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه . قال : اذهبوا به فاقتلوه . قال : أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. استحفظ لها ياحجاج حتى ألقاك يوم القيامة . قال : اذهبوا به فاقتلوه :

فضحك . قال ماأضحكك ؟ .. قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك . قال : اقتلوه ! فاستقبل القبلة وقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ! قال : حولوه عن القبلة ! قال : فأينما تولوا فثم وجه الله . قال . اضربوا به الارض . قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . قال اضربوا عنقه . قال . اللهم لاتحل له دمى ولاتمهله بعدى .. فقتلوه فلم يزل دمه يثعب حتى أصاب أثواب الحجاج وفاض فهاله كثرة دمه وأفزعه مارأى فسأل طبيبا حاذقا ، فقال . خاطبته ودماء الجرأة فى عروقه سارية وأمرت بقتله فهاله أمرك ففاض دمه ولم يخمد فى نفسه .

* * *

ولايعنى الانسان منا بالبحث عن جمال الشكل اذا مابهره جمال المعنى ، فجمال الشكل ظرف جمال الاعمال والمعانى وجمال المعانى عناصر متساوية مختلفة فى جمال الاخلاق وعظمة الحقيقة . وبذا تفهمون أن الحياة هى الحركة والنور والقوة ، فالطبيعة

مستمدة من الأبدية التى تخلق فينا شعورا وخيالا يفهمنا حقيقة وجودنا وحقيقة أن الله مثال وأصل كل جمال وأنه لطيف جبار ذو جمال مطلق أبدى علوى لاينقص ولايفنى ولايتغير ، وأننا لن نصل الى الجمال القدسى فى معرفة حقيقة الله وكنهه ، إلا اذا بدأنا بهذا الجمال الأرضى الذى يسمو بأرواحنا وقلوبنا فيوصلنا الى عالم الخلود والابدية بجوار عزيز مقتدر .

صور من الجمال

أصول الجمال الحسى . انما مبعث الحب جمال ، سواء أكان جمال جسم أو روح ، ولقد حدثناك كثيرا عن جمال المعانى ، فلنحدثك حديثا قصيرا عن جمال الصور !! ..

يكون الجمال الحسى فى جمال العين ، جمال الشعور ، جمال الصوت ، وفى النعومة والحلاوة . فجمال العين (١) فى صفائها وشفافيتها ، فى صفاء مائها ، فى لحظها ، فى صلتها بالاعضاء المجاورة ، وفى تأثرها بصفات عقل صاحبها والخلق الجميلة التى اكتسبها .. ونرى فى النعومة جمالا لأنها أهم باعث لسرور اللمس والذوق والشم والسمع ، والحلاوة جمال الذوق ، ومن جمال الجميل أن تكون خطوط أعضاء جسمه مخالفة تماما لاتجاهها . . وجمال الصوت الموسيقى ليس فى العلو والقوة

(١) معظم جمال العين فى سوادها وكلما كانت العين كثيرة السواد كانت كثيرة الحرارة والرطوبة

الصوتية — التى تستعمل لتحريك عواطف أخرى غير الحب ولا فى خشونة النغمة أو عمقها ، بل فى وضوحها ، وفى نعومتها وضعفها . فيجب ملاحظة أن الاختلاف العظيم والانتقال السريع من نغمة لأخرى خطأ ضد تناسب الجمال الصوتى ، لان هذا الانتقال يثير دائما عواطف فجائية ، لكنه لا يثير الشعور العميق المتصل بالروح الذى يثيره الجمال قريبا من نوع الحزن منه الى السرور ، فالنعومة فى الصوت ، واستمرارها الغير متقطع تثير اختلاف الحواس مع اختلاف العواطف ، وتساعد على اثارة الحب .

* والجمال الحسى كما قلنا صفات فى الاجسام تؤثر ميكانيكيا على عقل الانسان بواسطة الحواس ، وأهم أسبابه الحقيقية هى التى ذكرناها ، وسنحدث القارىء عن مذهب ادمند بيرك فى انكاره أن التناسب سبب الجمال ، لأنا نتساءل عن أى الاشياء الجميلة توجد هذه الصفة فى غير الانسان ؛ وهل نجد فيها نسبا معروفة ، وماهى الحالة التى يجب أن تريحنا لحدوث فكرة الجمال عنها ؟ فأى تناسب بين غصون شجرة الورد

الجميلة وفروعها ، وهل هى لاتدين بجمالها لغير هذا التناسب اذا فرض وجوده ؟ وفى الحيوانات ، الا يوجد ماهو برقبة طويلة وذيل طويل ، وماهو مختلف ألوانه وأى تناسب بين رأس الحصان الجميل وبين جسمه وأعضائه ؟ وأى تناسب بينهاجميعا ؟ فليس القياس إذن هو الذى يوجد جمال الشكل بل هى حالته . ونحن لاننكر أن التشويه ينتج عن فقد التناسب العام ، ولكننا ننكر كل الانكار أن وجود هذا التناسب الضرورى جمالا ، فالتناسب يوجد بلاجمال ، والجمال غالبا يوجد مع التناسب وان كان قد يوجد بلاوجود التناسب فليس التشويه أوعدم التناسب هوضد الجمال ، بل ضد الجمال هو القبح وقد يوجد تناسب فى القبيح . وكذلك كون الشىء نافعا ليس دليل جماله ، فمثلا جمال البشرة ليس لانها مفيدة للجسم بل لانهارقيقة ولانهاناعمة ، وبذا كان التناسب الخالى من سحر الجمال ليس جمالا ، لأن الجمال لايتم بالضروريات لانها ليست من صفاته بل من صفات الشىء العادى ، تبنى عليه صفات جديدة هى سحر الجمال ! .

ومن أصول الجمال الحسى التى ذكرناها ، النعومة ، وهى ضرورية للجمال اذ لا نعتبر الشىء جميلا ما لم يكن ناعما ولهذه الصفة فضل كبير فى تأثير الجمال . والجمال فى اختلاف تثنى الاعضاء وامتزاجها ، وفى الرقة مع الصحة ، والجمال فى اللون . وجمال اللون فى أن لا يكون طينيا أو رماديا بل صافيا جميلا كما أنه يجب أن لا يكون لونا قويا بل متوسطا (أخضر نورى ، أزرق قليل ، أبيض ضعيف ، أحمر قرنفلى ؛ بنفسجى) لأن قوة اللون وحياته ، تختلف ، فيفقد اللون قوته ، وخير اللون ما كان مزيج اللونين الاحمر والابيض بقوة وجاذبية ، وفى اتصال جماله بجمال الشكل .. والجمال فى الاخلاق لان الاخلاق تجمل الوجه بمزج صفات عقلية جميلة لتلك الصفات الجسمية ، ولانه يجب أن يكون الوجه مؤثرا بهذه الصفات اللطيفة المحبوبة عند مزجها بالنعومة والليونة فتكسب المظهر الخارجى جمالا وتكسب الجمال تأثيرا فاتنا !!..

وأصول الجمال الحسى كثيرة نذكر منها طيب الرائحة

ورقة الحديث وحسنه (١) وجمال الابتسامة ، وتجسم الحسن وطول القامة ، وتثنى العظام ، والتثنى فى المشى ، ورقة الخصر وخفة الروح !

فكن أيها القارىء من الذين أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين ففطموا أنفسهم كل عن نقيصة. ورعوا عهد الجفون الناعسات ، والقدود المائسات !! .. وانه لعهد لو تعلمون عظيم !! ..

الجمال والتناسب : يقولون أن الجمال موجود فى تناسب الاعضاء ، لكن التناسب يتصل اتصالا تاما بالراحة والحركة كما أن تناسب الافكار ينشىء ترتيبها ، وبذا نعتبر التناسب مخلوق الفهم لانه سبب أولى يؤثر على الحواس والخيال . ولكن هل تجد الشيء جميلا بقوة الانتباه الطويل والتحرى؟

---

(١) خير وصف للحديث قول ابن الرومى

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

أم أن الجميل يشعرنا بجماله من غير ما امتحان ومن غير ما اختبار ومن غير ما مآخر ومن غير ما انتباه طويل ؟ لاريب فى أن الجواب هو أن الجمال لايطلب من عقولنا أى مساعده لنفهمه وحتى الرغبة لايتطلبها الجمال، لكن مظهر الجمال يسبب فينا شيئا من الحب كما يسبب ظهور الثلج أو النار فكرة الحرارة والبرودة . التناسب هو قياس الكمية المتصلة ، وكل كمية مقسمة ، وبذا كان كل قسم تنقسم اليه الكمية يجب أن يحمل بعض قرابة لها وان يكون متصلا بالاقسام الاخرى أو بالمجموعة . وبهذه الصلات نأخذ فكرة عامة عن أصل التناسب ، وبذا نرى الحكم فى التناسب حراً غير مغرض — وكل تناسب ، وكل تركيب كمية ما ، واحد فى الفهم لان نفس الحقائق تنتج من الجميع ، من الاكثر ومن الاقل ومن التساوى ومن عدم التساوى . لكن الجمال ليس فكرة متصلة بهذا لانه لايتصل بالقياس ولا بالهندسة .

لكننا وقد حددنا صوت عواطفنا وفق عقولنا ، فيجب أن نفهم أنه لو كان التناسب احدى مركبات الجمال

لكان واجبا على التناسب أن يشتق هذه القوة من تناسب طبيعى موجود فى مقاييس معينه تعمل ميكانيكيا بعملية العادة أو التوافق ، ولكن الحال غير ذلك لامور أحصاها ادمند بيرك كاتب الجمال الانجليزى فى كتابه «الرائع والجميل» : نلخصها فيما يلى :

(١) لو وجد جسمان ينتجان نفس التأثير — أو التأثير المشابه — على العقل وكانا متفقين فى تناسبهما — فى اجزائهما — مختلفين فى غير تناسبهما ، كان التأثير العام ان ينسبا للاجزاء التى يتفقان فيها لا التى يختلفان فيها .

(٢) لا ننظر لتأثير الشىء الطبيعى من تأثير الشىء الصناعى ، أى يجب أن نفرق بين التأثيرين .

(٣) لا ننظر لتأثير الشىء الطبيعى من نتيجة — أو استنتاج عقولنا ، وكان هذا الاستنتاج يخص منافعها ، اذا ما ظهر سبب طبيعى ، بمعنى أنه يجب أن نفضل السبب الطبيعى على نتائج عقولنا التي تخص منافعها .

(٤) لا ندخل أى صفة نسبية ، ولا أى قرابة للكمية

تسبب تأثيراً معينا ، لو كان التأثير ناتجا عن مقاييس وصلات مختلفة أو متضادة ، أو لو وجدت هذه الصلات ولم تنتج التأثير.

سحر العيون وألم الحب : تلعب جفون الجميل بالقلوب وحبها، وباللحظة[1] من الالحاظ ، يملك الجميل الانفس وكلياتها والارواح وحياتها .

فوحق اللحظ والطرف [2] ، والرنو للجميل والكحل وما جمل الله به العيون من دعج ونجل ، وصفاء وحور [3]

---

(١) الالحاظ جمع لحظ وهو مؤخر العين الذى يلى الصدغ وجمعها لحاظ ولواحظ ، فأما اللحظة فهى النظرة وجمعها لحظات فى القليل واللحظ فى الكثير .

(٢) الطرف هو ما ملأ باحدى السوادين السواد الاعظم والسواد الاصغر. والرنو ادامة النظر (رنا يرنو وما زال رانيا) . والكحل هو اسوداد الحدقة من غير كحل حتى كأنها قد كحلت . والدعج هو سعة الحدقة وشدة سوادها. والبرج وهو سعة أبيضاض بياضها. النجل هو اتساع العين مع حسنها .

(٣) حور العين فى الجملة صفاؤها وان تكون كأنها تنظر

سلبتنى الاحداق قلباً مغرماً * بفتور[1] طرف ساحر بفتون

فيأيها الجميل رفقا، فحين ترنو ترمى فتصيب القلوب وتذكى لهيبها، وتجلس على عرش القلوب فى مملكة الجمال ونقول لك مع ابن العفيف التلمسانى

اعز الله أنصار العيون وخلد ملك هاتيك الجفون

وصان حجاب هاتيك الثنايا وان ثبت الفؤاد على الشجون

بمؤخر انسان عينها، ويفسره أبو عبيدة بأنه شدة سواد العين مع شدة بياضها، ويعقوب بأنه سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض، وقطرب بأنه حسن المحاجر كبرت العين أم صغرت، وعمرو ابن العلاء باتساع حدقة العين حتى لا يظهر معها شىء من البياض كأعين الظبا والبقرة الوحشية.

(١) الفتور هو انكسار النظر وذبوله فى أصل الخلقة وهو معنى وصفهم للعين بالمرض وأيضاً بالسقم، ويقال طرف فاتر وطرف فتور وهو فتان وهو الذى يزيد استحسانه حتى يسترخى له من ينظره. ومن جمال العين لونها من سواد (ويغلب فى البلاد الحارة والمعتدلة) وزرقة (ويغلب فى البلاد الباردة الرطبة)

وأسبغ ظل ذلك الشعر يوما على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا وان جارت على القد الطعين

وتردد لك قول شهاب الدين

طرفك هـــذا به فتور أضحى لقلبي به فتون
قد كنت لولاه فى أمان لله ما تفعل العيون (١)

فما اللواحظ لواحظ بل نبال ، لها فى القلب سورة هى نفثة السحر الحلال !

من كل ظبى كحيل الطرف ذى غيد
وكل أهيف معسول اللما عنج

..فتعالوا ايها الناس ندرب انفسنا على فن التألم فى الحب فهو من ضروريات الحياة بل من مهذبيها ؛ فبه نعرف الحزن فنعرف اسرار الفن والفلسفة والدين . . فسبب آلام الحب

---

(١) جمع الشهابى جناية الاحداق فى قوله

وظبى أنس سبا الآساد ناظره فى طرفه عشرة خصت بها البشر

سحر ، فتور ، سقام ، صحة ، وطف غنج ، فتور ، نشاط ، حوه ، حور

فى الجمال ، سحر تلك العيون . وهى آلام لذيذة . وسهام وقعها على القلوب جميل . لانها تغذى عقولنا وأرواحنا . . وان فتكت بقلوبنا ، ولانها تدخلنا فى أسرار كنوز الحياة والحب ، وان آلمت نفوسنا . . فسنصبر أيتها العيون الساحرة لانا تعلمنا من حبك القوة ، فأصبحنا أقوياء الروح . والصبر فضيلة القوى ! ! . . وسنحيا للصدق فى الحب والوفاء فيه ، لانا تعلمنا من فنونك أن أكبر القوى الانسانية هى حب ووفاء ! سنحبك أيها الجمال ... وسنعرف كيف نستعذب جروح نبالك ! ! وكيف نكون أبرياء فى حبك :

وقد علم الناس أنى امرؤ أحب الغزال وأهوى الغزل

الجمال بين اللذة والالم . ليس الناس بمخطئين فى شعورهم ولكنهم غالبا يخطئون فى الاسماء التى يطلقونها عليه وفى تدليلهم له . ويظنون أن الالم لابد ناتج عن بعد بعض السرور كما يظنون السرور ينتج عن بعد بعض الالم أو تقليله ، ولكن الحقيقة ان وجود أحدها ليس متوقفا على ذهاب الآخر .

فليس الالم بناتج — كما يقولون — عن ذهاب اللذة ، كما أن اللذة ليست ناتجة عن ذهاب الالم .

أذهب الى حديقة الازبكية ، فاسمع عزف موسيقى جميلة ... تنتهى الموسيقى .. أى ألم ترك ذهاب الموسيقيين ؟ لاشيء ! واسمع فى نفس الحديقة بعض قطع رديئة ، أتألم .... ثم تنتهى .. أى لذة ترك انتهاؤها ؟ لاشيء ! ولكننا لا نستطيع أن نغفل أن السرور هو التعبير عن الشعور الذى يصحب ذهاب الالم أو الخطر .. وشتان بين سرور ولذة ! !

العاطفة المستمرة فى العالم هي الشهوة ، وهى واضحة فى الوحوش التى ترى عواطفها غير مختلطة لانها هى الوحيدة ، ولذا تتبع أغراضها مباشرة .. فأول مايهم البهيمة فى رفاقها الغريزة الجنسية ، وبذا كانت البهائم متصلة أكثر من غيرها بأنواعها ، وليس هذا الاتصال ناتجا عن أى شعور بالجمال الذى نراه فى أنواعها بل بنتيجة غريزة الشهوة .

لكن الانسان وهو يختلف عن الحيوان فى اتصاله بعواطف عامة عن أفكار اجتماعية تعلى شهوته العامة ولا تمكنه

من ذلك الاتصال البهيمى المستمر الذى يقصر حياته . . وجدت له أشياء للاختيار والتفضيل ، وهـذه صفة معقولة سريعة قوية مخففة التأثير .

وموضوع هذه العاطفة المختلطة التى نسميها حباجنسيا هو جمال الجنس ، فالرجال يجذبون للجنس عامـة بحكم قانون الطبيعة ولـكنهم يختلفون فى معرفتهم الجمال الحسى الذى هو صفة اجتماعية توجـــد فى الرجال والنساء والحيوانات ، تشعرنا بسرور ولذة عنـد رؤيتها ، توحى الينا بشعور الحب لاشخاصهم والعطف عليهم والقرب منهم ، فندخل مختارين بصلات روحية معهم ، مالم توجد لدينا أسباب قوية لمجانبتهم.

ولقد أجمعنا على أن الجمال هو هذه الصفة — أو هذه الصفات ـ فى الأجسام التي تسبب حبا ، أوعاطفة تشبه الحب والحب هو هذا الارتياح الذى يرتفـع للعقل من استحسان شىء جميل — أمامن رغبة أو لذة — هو نشاط للعقل يجعلنا نسرع لامتلاك أشياء معينة لم تؤثر فينا لجمالها بل لصفات أخرى فيها مختلفة ، فمثلا يجد الرجل الشهوانى رغبة قوية فى

امرأة ليست ذات جمال ، بينا لايهمه جمال المعانى فى الرجال ، ولو أنه قد يحب هذا الجمال ، لكن جمال الرجل حتى الحسى منه لايثير فيه أى رغبة .. فالجمال والعاطفة المسببة عن الجمال التى سميناها حبا هى ذات اختلاف كبير عن الرغبة ، فالحب ليس رغبة ، والحب ليس شهوة ، والحب ليس لذة جسمية ، ولو أن الرغبة تعمل معها فى بعض الاوقات ، وللرغبة تنسب كل العواطف الثائرة والنتائج الناشئة عن تحرك الجسم وأعضائه والعاطفة رغبة فى أشد قواتها ، ولما كانت العاطفة ضد الحرية كانت لذاتها مشوبة بألم ، وكان ضبطها شعورا عاما للحقوق ولتنظيم الحسن والقبيح ، اللائق والنافع ، الشريف والموافق الفضيلة والربح ، الرغبة والشهوة ، الاحساس والضمير . . . وفى النزاع بين الاحساس والضمير ، ألم بل آلام تنغص اللذة ولما كانت الشهوة رغبة ، وكان الحق فى القدرة على اقناع الرغبات مع الحرية ؛ ولما كان هذا ليس بالمستطاع ، كان الشعور بلذة يشعر فى نفس الوقت بألم ، لان للحق قوة على الانسان أراد أو لم يرد !! ..

وبين الحقوق والحالة الطبيعية للجسم حرب قائمة ، وعداء مستحكم ، وفى هذه الحرب يقوم شقاء الضعف ، ضعف الجسم وضعف الروح ، اذا قويت نزعات الجسم على الحقوق . أما اذا قوى الحق انضم الضمير والعقل ، وفى اجتماع هؤلاء قوة للانسانية وللاخلاق. فللجريمة الخلقية آلامها اذ تكسر قوانين الاخلاق وتمزقها ، ولها آلامها إذ تشعر المجرم باحتقار نفسه وكراهيتها. وللفضيلة آلامها، وللفضيلة سعادتها الكبرى لان الشقاء الاعظم مع الجريمة ولان آلام الفضيلة تقوية للروح يعوزها صبر . . أما آلام الرذيلة فجموح مع النفس يميتها ويزرى بكرامتها ! فيجب أن نفهم قناع الروح . هل هو جمال؟ هل هو حب ؟ هل هو جمال الطبيعة ؟ هل هو جمال الروح ؟ هل هو جمال الصور ؟ هل هذا القناع كبرياء ؟ هل هو غضب يعمى صاحبه ؟ هل هو بغض قنعها بقناع كثيف فجعلنا لانستطيع تقدير مانحتقر والعماية عما يسيئنا ؟ هل هذا القناع حب الذات يعمينا عن رؤية الملائكة التى تعيش معنا من الآدميين فتجعلنا نبخس الناس أشياءهم ؟ أم هل هو الحيوانية

ترينا الناس جميعاً حيوانيين فتجعلنا ننكر الفضيلة ؟ أم هل هو الغرض يعمينا فيصور لنا القبيح جميلا والجميل قبيحا ؟ ألا اننا نحتاج فى فهم معانى اللذة والالم الى درس هذه الظواهر جميعا ، حتى نرى الاشياء على حقيقتها ، فنكون أمناء ، مخلصين ، منكرين لذواتنا ، ذوى حب ووفاء فنشعر أن اللذة فى تغذية الروح . . وان الآلام اللذيذة ، هي ما نتجت عن هذا الغذاء . أما لذة الجسم فكلها آلام ، آلام جسمية وآلام روحية ، تجعل اللذة ألما . . . وألما شنيعاً خطراً على الروح والجسم والخلق والانسانية ! !

جمال الحكم : جمال الحاكم مقتبسا من أمير المؤمنين على بن أبى طالب (١) هو فى تقوى الله وايثار طاعته وأتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه وسننه ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، وأن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها (٢)

---

(١) راجع كتابه للاشتر النخعى لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب محمد ابن أبى بكر ص ٨٥ ـ ١١٥ حـ ٢ من كتاب نهج البلاغة للشريف الرضى (٢) يكفها

عند الجمحات ، وأن يكون أحب الذخائر اليه ذخيرة العمل الصالح ، وأن يملك هواه ويشح بنفسه عما لا يحل له بالانصاف منها فيما أحبت أو كرهت ، وأن يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، وأن يعطيهم من عفوه وصفحه مثل الذى يحب أن يعطيه الله من عفوه وصفحه ، ولا يندم على عفو ولا يتبجح بعقوبة ولا يسرع الى بادرة وجد منها مندوحة [١] ، واذا أحدث له ماهو فيه من سلطان أبهة أو مخيلة ، فلينظر الى عظم ملك الله فوقه وقدرته منه على مالا يقدر عليه من نفسه وأن ينصف الله والناس من نفسه ومن خاصة أهله ومن له فيه هوى من رعيته ، فانه إلا يفعل يظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته [٢] ، وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين

---

(١) البادره مايبدر من الحدة عند الغضب فى قول أو فعل والمندوحة المتسع أى المخلص (٢) ابطل

وهو للظالمين بالمرصاد ، وأن يكون أحب الامور اليه أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضى الرعية ، فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة فى الرخاء وأقل معونة له فى البلاء وأكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة ، وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء ، العامة من الامة ، فليكن الميل معهم .

وليكن أبعد الرعية من الحاكم واشنأهم عنده أطلبهم لمعائب الناس ، فلا يكشفن عما غاب عنه منها فانما عليه تطهير ماظهر له والله يحكم على ماغاب عنه ، وأن يطلق عن الناس عقدة كل حقد بحسن السيرة معهم ويقطع عنه أسباب كل وتر[1] بترك الاساءة الى الرعية ، وأن يتغابى[2] عن كل مالا

---

(١) عداوة (٢) يتغافل

يصح له ولا يعجلن تصديق ساع (١) ، فان الساعى غاش وأن تشبه بالناصحين ، ولا يدخلن فى مشورته بخيلا يعدل به عن الفضل ولا جبانا يضعفه عن الامور ولاحريصا يزين له الشره بالجور ، وأن يعلم أن شر وزرائه من كان للاشرار قبله وزيرا ومن شركهم فى الآثام ، فلا يكونن له بطانة (٢) وان يكون آثر وزرائه عنده اقولهم بمر الحق له وأقلهم مساعدة فيما يكون منه مما كره الله لاوليائه واقعا من هواه حيث وقع ، وأن يلزم كلا من المسىء والمحسن ما ألزم نفسه ، وأن يكون حكيما فلا ينقض سنة صالحة عمل بها صدور الامة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ، ولا يحدث سنة تضر بشىء من ماضى تلك السنن ، وأن يكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء (٣) فى تثبيت ماصلح عليه أمر بلاده واستقام به الناس قبله ، وأن يعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الا ببعض ولاغنى ببعضها عن بعض ، وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر مايصلحه ، وليس يخرج

---

(١) نمام بمعائب الناس (٢) خاصة (٣) محادثه

الوالى من حقيقة ماألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل ، فيولى من جنوده أنصحهم فى نفسه لله ولرسوله ولامامه ، وأنقاهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطىء عن الغضب ويستريح الى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لايثيره العنف ولا يقعد به الضعف ، وأن يلصق بذوى الاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، ثم يتفقد من أمورهم مايتفقد الوالدان من ولدهما ، وأن يتفقد لطيف أمورهم وجسيمها ، لان لليسير من لطفه موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لايستغنون عنه ، وأن يكون آثر جنده عنده من واساهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته (١) ، حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو ، فان عطفه عليهم يعطف

---

(١) الجدة بكسر ففتح الغنى والمراد كما فسره الامام محمد عبده مايبيده من أرزاق الجند وما سلم اليه من وظائف المجاهدين

به حيفا فليصحر لهم وليبرز لهم بعذره ويعدل عنه ظنونهم باصحاره فان فى ذلك رياضة منه لنفسه ورفقا برعيته وإعذارا يبلغ به حاجته من تقويمهم على الحق .

وأن يترك سفك الدماء بغير حلها ، بل يضع كل أمر موضعه ويوقع كل أمر موقعه ، ليوفقه الله لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه ، مع حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة.

* * *

ذكرنا رأى الامام على فيمن يتولى الحكم وفيما يجب أن يتبعه من يتولى الحكم ، وطبيعى أن يكون رأيه متفقا مع التعاليم الدينية وأن يكون متمشيا مع مصلحة المسلمين ، ولكن ليس معنى هذا أن الحاكم الصادق فى حكمه العادل فى رأى «على» أوفى رأى غيره من أئمة المسلمين هو من راعى مصلحة المسلمين فحسب ، بل ان التعاليم الاسلامية من عهد النبى الكريم تقضى بوجوب اتباع العدل مع كل الرعية مسلمين كانوا أم غير مسلمين ، لان الفكرة الحية فى العدالة لا تعرف

فى المعانى الدينية إلا ماتصل بالمعانى الروحية من صلة بين العبد وربه ، ولكن الصلات المادية والاجتماعية التى يجب أن تنظم بما فيه المصلحة العامة ، لاتعرف غير هذه المصلحة العامة ، وأول واجب هو العدالة المطلقة ، وأظهر ماتبدو فى الوظائف العامة تقلد مستحقها ومن توفرت فيه الكفايه ، والضرائب تفرض بنسبتها من غير تفريق بين أفراد وأفراد ، بل ولا من غير تفريق بين وطنى وأجنبى ، إلا مادعته ضرورة البلد الملجئة كى تحمى نفسها أوصناعتها .

جمال الاخوة الانسانية : ينقسم غير المسلمين الى مشرك نجس (ويدخل فيهم الوثنيون والمجوس والطبيعيون) ، والى كتابيين (واظهرهم الآن المسيحيون واليهود) ، والفريق الأول لكثرة عدده فى العالم ارى ان نخوتنا الدينية توجب على خاصتنا الاتصال به لكى ننشر الدعوة الاسلامية بين ظهرانيهم ، وهذا لايكون بالابتعاد والعنف ، بل يكون بالتودد واللطف ، واما الفريق الثانى فأرى انه مادامت المعاملات المادية تقتضى الاتصال ، ويدعو هذا الاتصال الى

الاخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترىء بها عليه فى خلاف له بحضرة ملاء ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عماله عليه واصدار جواباتها على الصواب عنه فيما يأخذ له ويعطى منه ، ولايضعف عقدا اعتقده له ولا يعجز عن اطلاق ماعقد عليه ، ولايجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور ، ثم لايكون اختياره أيامه على فراسته واستنامته وحسن الظن منه ، فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، ولكن يختبرهم بما ولوا للصالحين قبله فيعمد لمن كان أحسنهم فى العامة أثرا وأعرفهم بالامانة وجبا ، ويجعل لرأس كل أمر من أموره رأسا منهم لايقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها .

ثم يستوصى بالتجار وذوى الصناعات ويوصى بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، ويتفقد أمورهم بحضرته وفى حواشى بلاده ، وليمنع من الاحتكار للمنافع لانه باب مضرة للعامة ، وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل

وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع (١) . ثم يخشى الله فى الطبقة السفلي من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ، يجعل لهم قسما من بيت المال ، ولا يشغلنه عنهم بطرفانه لا يعذر بتضييع التافه لأحكامه الكثير المهم ، فلا يصعر خده لهم ويتفقد أمور من لا يصل اليهم منهم ، فيفرغ لأولئك ثقته من أهل الخشية والتواضع ليرفعوا اليه أمورهم ، وأن يتعهد أهل اليتم وذوى الرقة فى السن (٢) ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه ، وأن يجعل لذوى الحاجات منه قسما يفرغ لهم فيه شخصه ويجلس لهم مجلسا عاما فيتواضع فيه لله الذى خلقه ويقعد عنهم جنده وأعوانهم من أحراسه وشرطه حتى يكلمه متكلمهم غير متعتع (٣) ، وأن يعطى ما أعطى هنيئا ويمنع فى أجمل واعذار .

وأن يكون فى خاصة ما يخلص به لله دينه اقامة فرائضه وأن يلزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وأن ظنت الرعية

---

(١) المشترى (٢) المتقدمون فيه (٣) غير متردد خوفا

قلوبهم عليه ، وأن يفسح فى آمالهم ويواصل فى حسن الثناء عليهم وتعديد ماأبلى ذوو البلاء منهم ، ولايدعونه شرف امرىء الى أن يعظم من بلائه ما كان صغيرا ولاضعة امرىء الى أن يستصغر من بلائه ما كان عظيما ، وأن يرد الى الله ورسوله مايضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الأمور ، وأن يختار للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسه ممن لاتضيق به الأمور ولاتمحكه الخصوم (١) ولايتمادى فى الزلة ولايحصر من الفىء الى الحق اذا عرفه (٢) ولاتشرف نفسه على طمع (٣) ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لايزدهيه اطراء ولايستميله اغراء ، وأن يكثر تعاهد قضائه ويفسح له فى البذل مايزيل علته (٤) وتقل معه حاجته الى الناس .

---

(١) أى تجعله محكان أى عسر الخلق (٢) لايضيق صدره

(٣) الاشراف على الشىء الاطلاع عليه من فوق (٤) بأن يوسع له فى العطاء حتى يكفى معيشته ويحفظ منزلته

ثم ينظر فى أمور عماله فيستعملهم اختبارا ولا يولهم محاباة وأثرة ويتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، ثم يسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغني لهم عن تناول ماتحت أيديهم وحجة عليهم أن خالفوا أمره أو ثلموا أمانته (١) ، ثم يتفقد أعمالهم ويبعث العيون (٢) من أهل الصدق والوفاء عليهم ، لان تعاهده فى السر لامورهم حدوة لهم (٣) على استعمال الامانة والرفق بالرعية ، وأن يتفقد أمر الخراج بما يصلح أمره ، وأن يكون نظره فى عمارة الارض أبلغ من نظره فى استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ، فان شكوا ثقلا أو علة ، خفف عنهم بما يرجو أن يصلح به أمرهم .

ثم ينظر فى حال كتابه فيولى على أموره خيرهم ويخصص رسائله التى تدخل فيها مكائده وأسراره بأجمعهم لوجود صالح

---

(١) نقصوا فى أدائها أو خانوا (٢) الرقباء (٣) بالفتح سوق وحث

الحسنى فى المعاملة والاخلاص فيها ، ومادامت الانسانية تقرر اجتماعنا جميعا فى الشعور باللذة والالم ، وان اختلف هذا الشعور واختلف مداه واختلفت درجته من حيث السمو الروحى ، ومادام الناس جميعا عباد الله فيجب ان تحب فيهم محاسنهم الخلقية والمعنوية لهذا المعنى ، ومادام القلب لايمكن قراءته والخاتمة لايستطاع معرفتها فقد يكون مؤمنا سرا بقلبه وقد يموت مسلما ، ومادام هذا كذلك فالرأى وجوب أن نفهم ان اختلاف الاديان امر اراده الله اذ قال فى كتابه الكريم « وأنك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء » قال « قل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وقال « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، فيجب أن نعامل غير المسلمين نفس المعاملة الامينة التى نعامل بها المسلم وفى تعميم الحديث القائل « خاب عبد خسر لم يجعل الله فى قلبه رحمة للبشر » خير دليل على ذلك

وقد وضع لنا النبى الكريم وأصحابه اسوة حسنة إذ كانوا يحضرون ولائم غير المسلمين ويغشون مجالسهم ويشيعون

جنائزهم ويعزونهم فى مصائبهم ، وأمرنا الاسلام بمساواتهم أمام القانون وأن نوفيهم حقوقهم كاملة لانبخسهم منها شيئا ، بل لقد أمرنا الله فى كتابه العزيز أن نعامل غير المسلمين كما نعامل المسلمين بمكارم الاخلاق عن صفاء نية لامواربة ولا مداهنة خوفا منهم أو طمعا فيهم ، فقال « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، أن الله يحب المقسطين » .

فيجب أن نعامل مجموعهم معاملة صافية وصديقهم معاملة مخلصة أمينة ، وأن نحب فيهم مايحب من جمال حسى وخلقى ومعنوى ، وأن نكره فيهم مايكره من قبح وأقبح القبح سوء العقيدة وفسادها ، ولكنا اذا كرهنا سوء العقيدة فليس معني هذا كراهية أصحابها ، واذا كنا نبغض فساد العقيدة ، فليس معنى هذا البغض لمعتنقيها ، لانه يجب أن نحب لعباد الله جميعا ما نحب لانفسنا فيجب أن نحب لفاسد العقيدة أن يقلع عنها ويرجع لربه ، فاذا رجع فرحنا برجوعه ، واذا لم يرجع فقد يرجع يوما ما وقد يكون راجعا بالفعل

ولكنه لاعتبارات كثيرة يراها قد رجع سرا ، واذا لم يرجع فأمره لله ، ويجب أن نحزن على عدم رجوعه لا أن نبغضه عليه ، لانا لا ندرى بماذا ختم له ، فقد يكون فى ظاهره غير راجع وفى الحقيقة قد رجع ، والمعاملة الأمينة المخلصة على هذا الاعتبار حب فى الله لانك قد راقبت الله فى معاملة عبد من عباده ، ولكن أذا ظهر من هذا الغير مسلم مايدل على الاصرار على عقيدته بمحاربة الاسلام أو الطعن فيه أو ايذاء المسلمين لانهم مسلمون أو العمل على اخراج مسلم عن دينه بالاغراء أو التغرير ، فهنا يجب بغضه (لعمله ولذاته) ويجب تحقيره والازدراء به وقطع كل معاملة معه بل معاداته ، وهنا فقط يكون بغضه بغضا فى سبيل الله (١)

جمال روح الجماعة : يحدثنا التاريخ عن قوة الفرد بالجماعة وقوة الجماعة بأفرادها ، وأنه ليس أكثر شراً على الفرد من أنانيته ولا على الجماعة من تفككها ، وأن الخير الأخلاقى

---

(١) ص ٢٠٦ ـ ٢٠٩ صفوة احياء الغزالى لمحمود على قراعة

فى فناء أنا الذاتية فى أنا الكلية وفى فناء الفرد فى المجموع ، وأن الوحدة والعزلة وان أفادت فى بعد الشر الخاص عن النفس ، الا أنها تدفعه للشر العام ، وأنه خير للجماعة أن يقترب أفرادها من الخير العام عن أن يبتعدوا عن الشر الخاص . على أن الذى يبتعد عن الناس ويعتزلهم ليأمن شرورهم أو لتأمن نفسه عدوى شرهم ، لهو جبان ضعيف النفس ، لا خير يرجى منه لنفسه ولا لجماعته ، لا خير يرجى منه لنفسه لانه أضعف عن أن يكبح جماحها ، ولا خير يرجى منه لجماعته لانه بعيد عنها ، بل هو أمعن فى أن يصيبها بشر لان الانانية تقويها فيه وحدته وتعززها عزلته ، فلا يعرف حق الجماعة ولا سعادتها ، ولا يعبأ الا بفرديته وما يتصل بهذه الفردية .

* * *

فروح الصلة بالجماعة تدل على حبها ، وحب الجماعة يدعو للعمل لخيرها والعمل لخيرها ـ يجعل الفرد يفنى فيه ، وفناؤه فيه يبعده عن الشر ، ويبعده عن التفكير فيه ، ويوجه فكره للخير وللسعى له . وباطل فلسفة المعتزلة فى البعد عن الناس

للنجاة من شرهم والبعد عنهم لتخليص النفس من الآثام التى يوجدها الاتصال بهم لانه وأن كان فى البعد نجاة فهى نجاة صورية ، وما النجاة الحقيقية الا أن يخرج الانسان رغم اتصاله بهم طاهر النفس عفيفها ، كريم الخلق جميلها ، وباطل قول الفلاسفة أن فى التفكير فى الوحدة عميق دراسة للحياة ، وفى التفكير المنعزل قوة فى التفكير ، لان دراسة الحياة لاتعمق الا بدراسة الحياة ، ودراسة الحياة ليست الا فى دراسة الاحياء والاموات أى فى دراسة الجماعة ماضيها وحاضرها . ودراسة الجماعة الماضية فى الكتب ؛ أما دراسة الجماعة الحاضرة فبالاتصال بها وتحليل مختلف شخصياتها .

وقد يكون التفكير المنعزل قوة يخرج بها المفكر ، وقد يكون الأحساس الحى دافعاً لهذه العزلة ، ولكن ليس معنى هذا أن القوة قد أتت من العزلة أو أنها قد أتت من الوحدة ، بل معناه أن الانسان المتصل بالحياة يلجأ لتحليل هذه الحياة ، وتحليلها لايكون الا فى معمل الهدوء ، حتى

يخرج من ذاكرته كل مركباتها، ويمزج بقوته المفكرة عناصر وجودها، وبهذا يوجد قوتها.

وأين يدرس الوحيد مايريد من دراسة للكمال؟ أفى الطبيعة وهى تتحدث اليه بمعانى الجمال والعطف والحب والتواد. ولمن يخرج هذه المعانى، ألنفسه والنفس لايستطيع الانسان أن يبهها مناحى قوتها، كما أن الجميل لاينعم بجماله كما يلتذ الناس بهذا الجمال. أم هو محتاج لكى تقوى فيه معاني الكمال ولكى يفهم دراستها أن يخرجها للناس؟ فهو فى دراسته معانى الكمال والجمال والحق والقوة والاخلاق والعدالة وما اليها، لن يستطيع أن يفهمها الا اذا درسها فى الحياة وباتصاله بالناس، ومقارنة شرورهم بخيرهم، وماهو كائن بما يجب أن يكون. والانسان ليصل الى الملأ الأعلى محتاج ليعبر بحر الوصول الى فهم الجمال الحسى، ومن هذه الحسيات مايتصل أكثرها بالانسان، فبدراسته جمال الانسان فى خلقه وخلقه، يفهم ان جمال الصور فى معانيها وان الجمال المعنوى أكثر تأثيراً فى النفس من الحسى، فيصل بهذا الى أن يتعشق المعنويات

ويخرج من تعشقها الى أن يبحث فى خالق الانسان وخالق الجمال الذى اليه المرجع واليه المصير . فهو بدراسة ما على الارض استطاع ويستطيع ان يفهم مافى السماء ، وبذلك يؤمن، وبهذه الحياة يسعد فى دنياه ويسعد فى آخرته .

والامة المصرية فى حاجة لبث روح الجماعة فيها ،ولتقوية هذه الروح المعنوية بين ابنائها : لان الانانية الجارفة هي اكبر مانشكو منه فى حياتنا المادية وحياتنا المعنوية ، ونحن فى حاجة كبرى لنتفهم عمليا أن الامة الحية المؤمنة كالجسد الواحد اذا شكا منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، ومن أكبر ناشر لتحقيق أمنيتنا غير الطلبة الجزء المثقف فى الأمة الذى يبعث فيها الحياة وينشر فيها الحماس والوطنية ، ومن أجدر بحمل هذه الأمانة الكبرى غير الشبيبة ومافى روحها من قوة ومافى اقدامها من مضاء وفى عزيمتها من قدرة على التنفيذ ؟ ! . . .

ولكن طلبتنا أنفسهم ويالالأسف تنقصهم هذه الروح الكريمة وتجرفهم فى سنى تعليمهم الوحدة الجارفة والأنانية

الساحقة، لانه لازال فى مدارسنا من سياسة دنلوب أثر، ولازال الاساتذة فى أدوار التعليم لايعنون بث روح التربية الحقة عنايتهم بالعلم المجرد عناية بالنتيجة آخر العام وعناية بالشهادة يحصل عليها الطالب.

ولكنا لسنا فى حاجة لمتعلمين كحاجتنا لمثقفين، وليست الثقافة قاصرة على مختلف العلوم، بل تتعداها الى ثقافة الروح، فى غرس معنى العطف ومعنى التواد ومعنى الوطنية الحقة وأنها ليست سفسطة ولا كلاما بل عملا، وان فى الاتحاد قوة وفى التفرق ضعفا، لا لتلقن هذه المعانى بأن يكتبها الطلبة فى انشائهم أو فى دفاتر املائهم، بل ليكتبوها على صفحات قلوبهم، ولتنزل منهم فى أعماق نفوسهم.

ويجب أن نذكر للرياضة والكشافة ولمختلف الجمعيات المدرسية أثرها الطيب، وإن كان ضعيفاً، فى بث روح العطف بينهم وفى ايقافهم على بعض معانى الحياة ما كان يمكنهم فهمها لو اقتصروا على مطالعاتهم فى الكتب أو على تقصيرهم وقصورهم فى الاتصال ببعضهم البعض اتصالا روحيا

يفهم الطالب حاجته الى أخيه ، الى قلبه والى روحه والى صادق معونته وصادق نصحه وعميق حبه . ولكنا نريد أن تتسع دائرة الصلة وأن يقوى أثر العطف وأن يجمع بين الفائدة المادية والمنفعة المعنوية ، لأن الحياة تجمع مادة ومعنى ، وأن تشترك العناصر المختلفة المتحدة التي يجمعها أصل واحد وشعور واحد وأمل واحد

الجمال فى الفكاهة : لا ريب فى أنه يعوز الانسان فى حياته معنى من معانى الطرب الروحى الناشىء عن الفكاهة الظريفة والمداعبات اللطيفة والمفارقات المضحكة واللهو البرىء الذى يؤثر على الصحة تأثيرا حسنا اذ ينسى الانسان فى فترة من الحياة آلامه وينقى الدم ويصفيه ويكون أكبر مساعد على انعاش الحركة الدموية وعلى تهذيب القوى الفكرية والعقلية ، وان هي الا رياضة فكرية تشبه الرياضة الجسمية بتأثيرها القوى على الأعصاب وعلى القوى الحيوية . ولقد ذهب بعضهم الى القول بان رؤية الماء والخضرة والوجه الحسن وهى كمالية ، تصبح فى كثير من الاحيان ضرورية اذ بفقدها

يصاب الانسان بنوع من السوداوية يجعل حياته قاتمة مظلمة وان بالرياضة الجسمية يساعد على الهضم وعلى تقوية أعصاب الجسم وعضلاته ، وأنه بالضحك والدعابة والفكاهة من غير ما أفراط ولا تفريط ، ما يكون خير دواء لكثير من الادواء .

ولسنا نذهب رأى هؤلاء ولا هؤلاء لان الرياضة على أنواعها أصبحت ضرورة من ضرورات الحياة، وأصبح ما كان يسمى لعبا ولهوا وعبثا ، أمرا لازما فى فترات الحياة ، اذ بغيره تصبح الحياة جامدة لا مرونة فيها وجسما لا روح فيه ، ولا أدرى ماذا كانت ستكون الحياة لو كانت قاصرة على العمل والأكل والشرب والنوم ، من غير أن يتخلل كل هذا دعابة مع صديق أو فكاهة توقعك الصدفة بها أو مزاح مقصود أو غير مقصود من حديث بين الناس يجعلونه سلوتهم على متاعب الحياة وعزاء لهم من ضرائها .

والشىء المثير للضحك اما أن يأتى من عدم التناسب أو من التناقض أو من الشذوذ الذاهب حد المغالاة فى الخروج عن حدى الافراط والتفريط أو من ذكر مألوف فى غير

مألوف أو غير مألوف فى مألوف أو من تقليد أومن خروج عن المألوف من الأمور الطبيعية أو التى تواضع الناس عليها. ففى « دون كيشوت » ضعيف مغرور جاهل غر أحمق يظن فى نفسه القوة والعقل والعظمة والعلم ، فيثير بهذا الظن وبما يستدعيه من حركات وأفعال شديد الضحك ، وفى أحدى قصص ألف ليلة وليلة يضحك القارىء أن يقرأ أن سائلا جائعا دعى لوليمة سلطان ، فكان غذاؤه الامر باحضار كذا وكذا من الطعام وكان شرابه الأمر بتقديم كذا وكذا من الشراب ، ثم ارغام السلطان السائل على تقليده بجلوسه جلسة المتهىء للأكل ثم بوضعه يده فى الصفاح الفارغة وتناوله خيالا وكسره لقمة من رغيف غير موجود واستحسان لصنف لم يذقه وشربه لشراب لم يره ثم الأمر برفع المائدة الخيالية وتقدم الغلمان لرفعها ثم الامر باحضار الغسيل وحضور الغلمان بالماء ثم اقراره بالشبع وبجودة الطعام والشراب ، وهو لم يذق شيئا ولم يأكل شيئا ولم تمس يده شيئا ولازال طاويا ، عملية خيالية مثيرة اقتبسها أحد كتاب السناريو فى رواية سينمائيه له رأيتها

(اذا عكست الوضع فأنك ترى .... حمارا)

منذ أعوام على الشاشة البيضاء فكانت أكبر داعية لقهقهة الكثيرين ، وكذلك خذ مثلا رواية يكتبها شاكسبير عن زوجة متمردة متكبرة يرغمها زوجها على النزول عن كبريائها بضربها وتحقيرها واهانتها فيفلح فى ذلك ، أو يكتبها موليير عن رجل يدعى الصلاح والتقوى وأعماله كلها نفاق فاذا ما أراد عمل الشر حاذر وكان فى حركاته ونظراته مثيرا للضحك باعثا على السخرية والاستهزاء .

وهكذا نجد أن ماذكرنا من أسباب للضحك تدفع له تارة بابتسامة اذا كانت النفس قوية أو كانت السخرية لاذعة يراد اخفاؤها أو بقهقهة مقصودة أو غير مقصودة ، ولسنا نريد بحث هذا الموضوع فلسفيا أو علميا ولكنا ذكرناه كصورة من صور الجمال فى الحياة لها خطرها ولها لذتها ولها

قيمتها ، ولذا كان الأدباء فى الحياة زينتها لان لهم هزلهم اللذيذ الذى أسميه الخلاعة الادبية وأقصد بها المناظرة اللذيذة والمراسلة الفكيهة والنكتة الظريفة التى ليس عليها شية والتى تكون لذتها عند كل الناس على اختلاف أمزجتهم واحدة وهى لاتخرج عن المقاييس التى ذكرناها ، فمثلا كان الشيخ على يوسف نديم الخديوى ، فأراد أحد السفراء تحيته فرفع قبعته وأحنى رأسه ـ كعادتهم فى التحية ـ فما كان من الليثى الا أن هز اصبعه كما يهزه عند رفض شىء اذا استعصى عليه الكلام ، فغضب السفير وذهب للخديوى شاكيا ، فطلب الليثى وقال له ما حملك على هذا ، قال يامولاى انه قال لى بهزة رأسه « تناطح » فقلت له بهزة اصبعى « لا » فضحك السفير وسرى عنه غضبه ، وكان المرحوم حافظ بك ابراهيم يرثى اسماعيل باشا صبرى فسمع نهيقا ، فقطع انشاده قائلا « لما يسكت حضرته » ، وأهدى الشيخ على الليثى سفط عنب الى حفنى بك ناصف فكتب اليه « وصل يامولاى الى هذا الطرف ماخصصت به العبد من الطرف فنص من عنب

كاللؤلؤ فى الصدف ، تتألق عناقيده كأنها من صناعة النجف ولعمر الحق أنها تحفة من أحلى التحف ، لايعثر عليها الا بطريق الصدف ، فقابلناه لثما بالأفواه ، ورشفا بالشفاه ، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء ، ولم نفرط فى جنبه عند اللقاء بل حللنا له الحبى (١) وقلنا أهلا وسهلا ومرحبا ، وأوسعناه عضا ولثما (٢) وتناولناه تجميشا وضما (٣) وحفظنا فى صدورنا سره المكنون وطويناه فى غضون البطون ، فطربت من تعاطيه الارواح ولا غرو فهو أصل الراح ، وانتشينا ولم نحمل وزرا ، وثملنا ولم نذق طعما مرا ، فهو كبيان مهديه سحر ولكنه حلال ، ولعب الا انه كمال »

* * *

---

(١) احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها ويقصد بحل الحبى الاستعداد (٢) من كثرة الشوق (٣) من شدة الحب

جمال الشاعرية : الشاعر فى نظر (فيكتور) هو جوهو العامل للناس ليصل بهم للنجاح بالنور ، ويقول ايضا حالفكرته ان العمل للناس هو الدافع الاعظم ، لان الروح الانسانية تحتاج الى مثل أعلا اكثر من احتياجها للحقيقة الواقعة . . . فبالواقع نعيش ولكن بالمثل الأعلى الذى نطمح اليه بخيالنا نوجد ، وهذا هو الفارق بين الحيوان الذى يعيش والانسان الذى يوجد ، لان الوجود يدعو للفهم ، والابتسام للحاضر والعمل لتحسين المستقبل والموازنة بين الشر والخير ، وأن يكون الانسان عادلا مخلصا محبا للحق ، مفرقا بين ماهو حاصل عليه وما يقدر على الحصول عليه وما يجب أن يحصل عليه ، اذ الوجود هو الضمير ، فالادب هو سر المدنية كما أن الشعر هو سر المثل الاعلى ، ولذا كان الادب محتاجا للاجتماع وكان الشعر وحى الروح ، وكان الشعراء هم المعلم الاول للناس ولذا وجب ان يترجم فى بلد ما انتجه شعراء البلد الآخر ووجب على الشعراء والفلاسفة والمفكرين التأليف والنشر والتصوير والتوزيع والنقد والمحاضرة ، ولذا وجب على الشاعر

الاختلاط بالناس وان يضحى فى سبيل الفقير والمسكين منهم راحته وماله وسروره وحريته بل وحياته ، ويضحى فى سبيلهم ماله بل ودمه الاغلى من ماله وفكرته الاغلى من دمه وحبه الأغلى من فكرته ،وأن يضحى فى سبيلهم بكل شىء إلا العدالة،ولذا وجب أن يصغى اليهم سامعا شكايتهم بقلبه وأذنه ، معلما لهم مهذبا لهم ناصحا لهم مرشدا لهم لسبل الخير، لانه جميل وجميل جدا على هذه الارض المظلمة فى هذه الحياة الغامضة أن تكون القوة استاذا ، والحق قائدا للنجاح والشجاعة والذكاء سلطانا للشرف وان يكون للضمير مكان هو الواجب وأن تكون المدنية ملكة الحرية ، وأن تكون الجهالة خادمة النور .

وأول مايجب أن ينادى به الشاعر محب الديمقراطية ـ للناس هو الحرية لان الذى لاحرية له ليس انسانا ، ولا بصر له ولا علم ، لا فهم ولا ارادة ، لا عقيدة ولا أيمان ، لا اسرة ولا حياة . وثانى شىء ينادى به الشاعر للانسان هو فهم الحياة الانسانية ، فالحيوان انما يعيش ليأكل ولكن الانسان

يجب أن يأكل ليعيش ، ولذا كان فهم القلب الانساني داعيا الى تقوية الجسم الانسانى ليقوى الفعل الانسانى، ولكن لا لان تكون العناية موجهة للجسم كغرض أخير بل لتقوية الروح كمرمى البصير .

وتتركز ثورات المستقبل لهذا التطور عند فكتور هوجو فى التعليم المجانى الالزامي لكى يستطيع كل الناس أن يقرأوا ويقرأوا ويقرأوا ، فاذا ما أتيحت لهم القراءة استطاعوا قراءة كتب العلم والاقتصاد والفلسفة والطبيعة والكيمياء والمنطق والفن والشعر والدين واللغة والقانون وبذا نصل الى الصحة والتقدم والنجاح والسلام وتقوية مبادىء الحرية والاخاء والمساواة .

وبذا نتيح للعامة قراءة الشعر وبذا نتيح لهم تذوق الجمال ، وبهذا يقول هوجو أن الفن للفن قد يكون جميلا ولكنه أجمل اذا كان للتقدم ، فاذا كان لابدمن الرؤيا فلتكن الرؤيا رؤيا التقدم الانسانى ومثله العليا ، ولذا كان الشاعر من أصغى للسكوت وأبصر بالليل وكانت حياته حربا على الطغاة

والظالمين والفسقة والفاجرين ، وما خلقت العبقرية للعبقرية ولا لما يسمونه الفن ، ولكنها خلقت للانسان ولكى تخدم الانسان ، لان خالق الانسان هو الذى وهبها كمعجزة من معجزاته للناس فى الحياة لكى ترقى الانسانية بها وتستنير بنورها ، ولذا وجب على الفن لهذا الغرض الاجتماعى أن يساعد العلم وأن يتمشيا معا ، تمشى الرائع مع النافع ، ولذا كان من الشعراء الجغرافى والتاريخى ، وكان منهم المشرع والقاضى والاخلاقى والفيلسوف والاقتصادى ، لانه وان كان صحيحا أن الشعر جعل للغناء والحب والعقيدة والصلاة ، ولكنه لا لغناء الخلاء وحب الذات ولكن لغناء المثل العليا وحب الانسانية والايمان بالنجاح والتقدم والصلاة لله رب الابدية اللانهائية ، لانك اذا كنت لاتعرف العواطف الانسانية فما عرفت الانسان وما عرفك ، وأنت عصفور مغرد بل وملاك طاهر اذا عرفتها وعرفت كيف تساعد الضعيف على القوى وتنصر الصغير على الكبير والحرية على العبودية والفكر على الجهل والاجتماع على الوحدة والخير على الشر .

* فالشعراء ثلاثة شاعر الهوى وشاعر المنطق وشاعر يجمع بين الاثنين ، وطبيعى أن الخير لاينتج قبحا ، وكون الشيء نافعاأو جميلا ، لايخرج عن كونه نافعا أوجميلا،ولكن اذا كان نافعا وجميلا فهو اذ ذاك الرائع ، ولا ريب فى أن الشاعر الحق من بحث العادل وغير العادل والحق والباطل والشر والخير ومن يبعث فى الناس حب الحق والجمال والعدل والعواطف الانسانية فى القلوب من تألم للبؤس وسرور بالسعادة وحركة فى الفكر والفعل والارادة ، هو من يضحك ويبكى ويثير ويدفع لما فيه خير الجماعة وسعادة الفرد (١)

ويقول فكتور هو جو انه يجب أن يكون الشاعر مؤرخا وفيلسوفا ، لان الشاعر فى الواقع يقص ويشير ، فهو لايقيده الاغرضه ، ولايعرف سلطانا ولاضرورة الاسلطان وضرورة الفكرة ، والشاعر فيلسوف لانه يتخيل ، ويدعوه منطق الحياة ان تصحب الابتسامة الدمعة ، ويمزج النهائى

---

(1) William Shakespeare Par Victor Hugo

باللانهائى والمستحيل بالحقيق فيخرج لنا غموضا ساميا ، ومن عبقرية الشعر القدرة على رؤية جانبى الشىء من شر وخير وحزن وسرور وحب وبغض ووضوح وغموض وسمو وضعة ومادة ومعني وأرض وسماء الخ .. من لون وشكل ومادى ومعنوى وعاطفة وشعور وحقيقة وخيال ...

والبساطة (Simplicité) فى الشعر هى أن تعطى كل شىء مايستحقه لا اكثر ولا أقل ، أى تعطيه بقدر ، فهى العدالة واتباع قانون الذوق ، كل شىء يوضع فى مكانه ويتحدث عنه بكلماته ، مع وجود توازن وحفظ نسبة غامضة ، فالشمس بسيطة لانها حقيقة ملموسة ، ولذا كان كل حقيق بسيطا

فقناع الحياة من ابتسامة ودمعة وشهوة وتفكر ديني عميق ، يكشفه لنا خلق الامثلة ، كأن الله سبحانه وتعالى يضرب الامثال للناس بالناس ، ليوحى بذلك الثقة ، فالشاعر يحدثهم قريبا من آذانهم ، اذ يخلق الله الظاهرة فيوحى للعبقرية أن تقوم بالعملية ، فمثلا خلق الله الطمع والخيانة والبخل

والرقاعة فيقوم الشاعر بخلق شخصية خيالية تصور لنا قبح كل من هذه الصفات .

جمال الخيال : يوحى الضمير بأفكار سامية على مرقاة الخيال ، تلك الافكار هي الشعور ، تنتظم فى سلكه الموسيقى التصويرية والتمثيل والشعر والكتابة الروائية والتصوير !! . .

ويرى القارىء الكريم أن الخيال يصور للشاعر — ونعنى بالشاعر ذا النفس الشاعرة — أن تغريد الطيور نوح على أهل الحب ، ليرى العندليب مؤذنا على العذبات ينادى حى على الصبابات ، والبلبل يغرد بألحانه ونغماته الشجية كي يدكى جوى الحب العطرية ، واذا برز الورد من أكمامه يقول أنه من حر الغرام وأوامه ، ويرى تفتحه اقبالا ، وذبوله من الوجد ، يبغى الوصالا ! . . واذا رأى نرجسا مفتحا أحداقه قال ذلك من لواعج أشواقه ، وظهور جمال الياسمين وشذا رائحته الزكية ، تعليل لنفسه بوصال حبه ! . . وهكذا يسير الشاعر محلقا فى سماء الخيال ، مشبها سائر الازهار بالمحب والمحبوب ، سابحا فى بحار الجمال ! . فالزهرة المتمايلة على

غصنها ، استولى الغرام عليها وقادها الهوى فمالت اليه ! . .

فالخيال وحى الشعر والشعر هو الشعور . . . وفوق هذا فان الشاعر وحده هو الذى أسرت اليه الطبيعة بالحقيقة العلوية ، وهو وحده الذى يرى الجمال ويشعر به !! . .

على ان الشعر اذا تكرر سماعه قلت اللذة به ، فان خيال اللذة ولذة الخيال تكون عند الشعور به ، ولا يشعر الانسان بحب الشيء الممل ، ذى النغمة الواحدة . وعلى هذا ترى تغاير الشعراء فيما يتخيلون فبينا نرى هذا يمثل الجمال الحسى بالظبى النافر اذا بنا نرى ذاك يمثله بالياسمينة المتفتحة. وهكذا لكل منهما وجهة نظر فى المشبه والمشبه به !! . .على أن الخيال لا يقف عند هذا ، فلقد يلجأ اليه الاديب ليثير قومه أو ليخفف عن نفسه همه.

هل الجمال فى الصور أم فى المعانى ؟ : لاريب انا جميعا ندرك أن الجمال هو جمال المعنى لكل صورة آدمية أو شعرية مصورة بريشة المصور أو موقعة على نغم الالحان !! فعندما نقول مثلا أن للكاتب اسلوبا روحيا مؤثرا ننظر أولا للصور

التى يعبر عنها وعن مقدار التأثير الذى تبعثه بعد فهم شكل الجملة والفكرة التى تحويها هذه الجملة ، هذه الفكرة المترجمة عن الفكرة الاصلية والتى تعبر عنها الجملة ذاتها بصورتها وبذا ترى أننا عند ما نتكلم عن الاشكال لا نتكلم عن الصورة الظاهرة فحسب بل نتكلم عن صورة أخرى روحية ، وبذا كان الجمال الحقيقى فى فهم الاشياء الباطنة التى لا يمكن رؤيتها بالباصرة

مامعنى الجملة التى أكتبها ؟ أليس هو شعورى الذى أريد أن احدثك عنه؟ وماشكل هذه الجملة أليس هو التعبير عما فى داخل نفسى من عاطفة ؟ اذن فجمال الشكل عمل من اعمال الروح وهبة من هبات المعنى ونحن وأن كنا لا ننكر أن أسلوب الكاتب مثلا وهو جمال كتابته ، هو مزيج بين الشكل اللفظى وبين المعنى ، الا اننا نرى أصل الجمال فى المعانى ، وخذ لك مثلا مقالا أدبيا ينتج تأثيراً وروعة هما عمل الفكر والخيال وليس فى شكل المقالة ذاتها بل فيما تعبر عنه هذه المقالة ، لأن شعور الجمال سرور ضرورى ناتج عن تذوق الكتابة والفكرة التى هي معانى صيغت فى الفاظ الكاتب لتنقل الرسالة بينه وبين قارئه ! !

كذلك المنظر الطبيعى ، والصورة الآدميـة ، وكل جمـال محسوس لايسحرك هـو ، بل تسحرك المعـانى التى تستخرجها منـه . . والقطعة الشعرية أنما تفتنك المعانى التى تصبها فى نفسك وبذا كان الشاعر أو الكاتب الذى يحوجنى بتقعره الى البحث عن معانى ألفاظه فيضيع على المعنى بهـذا البحث ، كاتباً أو شاعراً أجوف ، لأن الشاعر أو الكاتب يجب أن يفكر ويكون صادقاً فى عواطفه ليخرج لنا صور الشعور من سرور وحزن وحب وحكمة من غير أن يلزمنا بالبحث عن معانيه وراء الفاظه التى كتبها بعد اجهاد أفسد عليه عناصر الادب الثلاثة : الفكرة ، الصورة ، والشعور .

ولـكن يجب أن لانبخس الشكل حقه لأنه رسول المعانى الينا ، ولذا قال شيلر « فى الفن الشكل هو كل شىء والمعنى ليس شيئاً مذكوراً » وذلك لأن الشكل واسطة التعارف بيننا وبين الجمال ، ويجب أن نقدر الشكل ـ واسطة الجمال ـ لنفهم المعنى ـ أصل الجمال ـ وبذا نفهم الجمال ، ونفهمه فهماً صادقاً ! ! . .

* ندعى أن الخيال أجمل من الحقيقة ، لاننا نلحظ دائماً في الخيال الراقى روعة من نسمات الحقيقة . انظر الى شاعر يتغزل مثلا فنجده يذكر فى خياله الكثير من الحقائق التي لو ذكرها هكذا جافة من غير أن يعمد الى الخيال فى تشبيهاته واستعاراته ، وكناياته ، لما كان لقوله التأثير الذى نلفيه فى أنفسنا عند سماع هذا الشعر الذى هو الشعور صيغ فى قالب خيالى ليعبر عن حقائق نفسية هى فى نفسها جمال ، ولكن جمالها فى الصورة التى نقلت اليها هذه المعانى !!

ولقد يحسب القارىء أننا بقولنا هذا نناقض النظرية الاولى التى ذكرناها عن أن فى المعانى صورا ، وأن التصوير ليس قاصراً على تلك الخطوط وهذه الظلال التى نراها ، بل هى واضحة ، بل أكثر وضوحا فى كثير مما نقول من المعانى. لانى عندما أحب فلانا ، أخرج لك صورة ، هى صورة الحب وصورة الحب لاتظهر ، ولن نعرفها الا بانها مدركة فيما يراه الناس بيني وبين فلان هذا من صلات أحرص عليها وأرعى حقوقها وواجباتها !! . . .

انظر مثلا الى قول الجعبرى :

مليح ناعس الطرف رشيق القد والعطف
غزال قد سبى عقلى بذاك الخصر والردف
وورد فوق خديه يشوقنى الى القطف
وآس عذاره المسكي كنقش الغيد فى الكف
اطيب بطيب نكهته واسكر من شذا العرف
فما أبهاه من بدر بدا فى غاية اللطف
بنار الهجر أحرقنى وفى هجرانه حتفى
متى بوصاله أحظى ونيران الجفا تطفى
وقد أصبحت ذا سقم ولكن ريقه يشفى
أموت بحبه وجدا وأحيا منه بالرشف
ومن وجدى به نمت دموعى بالذى أخفى
وقد باحت باسرارى فقلت لادمعى كفى
وقلت لعاذلى دعنى فبعض اللوم لى يكفى
فحبـــوبى له قد رشيق زايد الظرف
وان لم أحظ من حبى بوصل منه والهفى

فتجد أن الخيال فى هذه القصيدة لم يبعد شيئا عن الحقيقة التى فى نفس هذا المحب ، عن اعتقاده فى محبوبه ، وتجد كذلك أنه لم يبعد عن حقيقة قصة الحب بينهما كما هى !! . . . وعند ما نرجع الى أنفسنا ونراه يشبه حبيبه بالبدر ، بل يفوقه ، نجد أنه يحدثنا مرة أخرى عن حقيقة ، هى عنده خير من ألف بدر !! . .

لكن اذا ما رجعنا الى ماذكرناه فى بحثنا (حقيقة الجمال) نجد اننا سنعود بك الى تفهم الحقيقة فى الموافق والجميل فنحن حينما نقول أن الخيال أجمل من الحقيقة ، فانما نريد تلك الحقيقة التى يتفهمها كل منا ، لانه يعرفها فى نفسه . . لكن الحقيقة فى ذاتها ، فلم نتعرض للبحث عنها ، لانها لاتتصل ببحثنا اتصال قرب . . . ولكنا نجد أنفسنا مضطرين الى ان نذكر ان الحقيقة فى ذاتها أروع جمال ، اذا تفهمناها ، ولكنا انما نعمد الى الخيال ، لانا نحاول الوصول اليها به ، اذا لم نجدها ، أما اذا وجدناها واذا عرفناها واذا قبلتها عقولنا ، وأدركتها قلوبنا ، فهى الجمال بعينه ، لانه جمال

فى المعانى ، وجمال فى الصور المعنوية ممزوجة بجمال الحقيقة فى ذاتها ! ! . . لكن اذا اردت أن تصل للحقيقة يجب أن تبحث عنها فى نفسك ، وفى نفسك فقط ، فان وجدتها فاحرص عليها ، وان غابت عنك فابحث عنها فى مرقاة الخيال السامي ، لتصل الى أبوابها . . . وعند وصولك الباب قد يسمح لك بالدخول ، حيث سحر الحقيقة وروعتها ! ! . .

* وانى اعتقد أننا نجنى على الحقيقة حينما نريد أن نفاضل بين الشعر والنثر ، ونذكر أن النثر يتسع لكثير من الحقائق العلمية ، لايتسع لها الشعر مع تقييداته فى الوزن والقافية ، لأن الحقيقة على عرشها يجب أن لا ننزلها الى حيث النثر أو الى حيث تجريدها من الشعر ، لان فى الشعر حقائق يعرفها القلب ويعرفها الذوق وتعرفها الاذن فى جميل نغماته لذلك أرى ان نترك الحقيقة فى مكانها الرفيع فى نفوسنا ، ونعمد الى تفهم الفرق بين النثر والنظم من غير ذكر لها ، فنجد ولاريب ان النثر الخالى من مميزات الشعر ، ونريد بها الشعور والخيال ، يكون جافا وجافا غير مهضوم ، لانقبله

نحن عشاق الجمال ، اذ نريد فى الكلام ان يعبر عن شعورنا وأن يذكر لنا الحقائق لا أن يصدمنا بها ، بل ليكون سبيلا الى تذوقنا اياها ، فبهذا فقط نفهم الجمال فى النثر ، ونقبل الكلام المنثور ! !

الجمال والفن : الفن رسول العبقرية بعثه الله فينا بفكرة الحقيقة والجميل والجمال لتوحى الى العالم جمالا أبدياً ! !

تتصل العين عند رؤية الجميل بالجمال العلوى ، ترتفع بلا وقوف فى مرورها بكل درجات السقوط والفشل ، فترى الجمال فى جسمين ، ثم فى ثلاثة ، وفى أكثر من ذلك حتى تقر للشعور بجماله وللخلق بجماله وللمدارك بجمالها . . . حتى تصل الى المثل الاعلى !! ومنظر الجمال الابدى يستطيع وحده أن يعطى ثمناً لهذه الحياة ، جمال فى طهارته وبساطته . . .

نتخطى فيه اللحوم والالوان الانسانية لنصل الى الجمال الابدى الالهى !! الذوق يعجب ويلاحظ !! الذى يشعر يحكم يحلل ، لكنه لا يخترع !! فتأتي العبقرية بخيالها ، ذوقها ، شعورها وعقلها . . . مخترعة للفن خالقة له . . وبذا كان العبقرى هو من

﴿ مثال الطهر والوداعة تصوير السير بيرني جونس ﴾

استطاع أن يخرج لنا أفكاره وشعوره وصور نفسه وآلامه وسروره وكل مايخالج النفوس الانسانية جميعاً فى صور شتى مميزاً بين الدين والوطنية والفن متفهما الحرية فى كل منهما ! !

وكل الفنيين يشعرون ويعجبون اعجابا عميقا بالطبيعة وجمالها مقدرين تفاوتها فى جمالها مستوحين من الحياة قوة تبعث الفن ولكل جمال طبيعى نقصه من وجهة مافيرينا الفن الجمال المعنوى الذى هو عمق كل جمال ، هذا العمق المغطى والمقنع فى الطبيعة يظهر الفنى جماله لنا ويوضحه ، وبذا يكون الفن أكثر تأثيراً من الطبيعة ، والتأثير أقوى علامات قوة الجمال ! !

وللفن طريقان خطران ، فكرة ميتة وفكرة ذاهبة غائبة ، فيأتى الفن لينقل نموذجا للطبيعة ، فيقلد الجمال الحقيقى كأن ينقل الرأس ولكنه يفشل فى تصوير أخلاقها . . فتأتى العبقرية حافظة النسبة بين الفكرة والطبيعة ، بين الشكل والفكره

وفى هذا قوة الفن ، وبقدرها يكون تقديره ، ولذلك يجب ان يصحب العلم والعمل ، عارفا مكان كل منهما فى فنه وحيث انه لاتوجد فكرة حقيقية بلا عزم ولا تصميم ، ولا

﴿ المراقى الذهبية للسير بيرنى جونس ﴾

توجد وحدة بلا تنوع ، ولا توجد مجموعة بلا افراد لهذه المجموعة ، كان عمق الجميل هو الفكرة التى تصنع الفن وبذا يصل الفن الى تحقيق الفكرة لا تقليدها ! ! . .

حواسنا خمسة ، منها الذوق ، السمع ، اللمس ، تبعث فينا شعور الجمال ، وامتزاجها بالآخرين تفهمنا هذا الشعور . . . فمثلا ليس اللمس وحده الذى يفهمنا جمال الشكل بل هى الحاسة المضاءة بالنظر . ولن تجد عملا فنيا سواء أكان مصوراً مغنى ، أم منطوقا به الا وكان موصلا لطريق الجميل ، ولما كان السمع والبصر أقرب فى المغناطيسية الى القلب نشأت فنون السمع وفنون الابصار فكانت الموسيقى والشعر والغناء فى جانب والتصوير والحفر والبناء وتنظيم الحدائق فى الجانب الاخر .

وقوة الفن فى أن يبعث من الشىء الفانى شيئا لا يفنى ، وبذا وجب على الفنان تصوير فكرة موضوعة مع تحضير موادها اللازمة من كلام وألوان وأصوات الخ . . مع معرفة أن الذوق يحكم على الموافق لا على الجميل ، فيعرف مثلا ان تغير لون وردة جميلة يخرجها عن أن تكون جميلة وأن بقيت

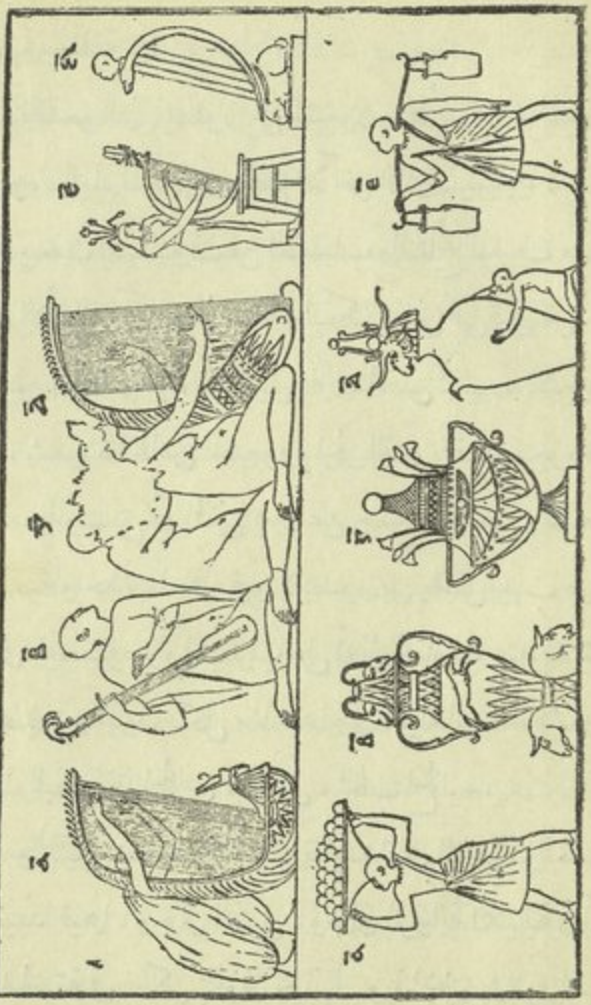

﴿ صورة الآلات والاوانى الموسيقية المصرية القديمة ﴾

رائحتها موافقة ؟ ! . .

فالشعر الفنى يصور كل الشعور والأفكار ، المدارك الوجوه ، العالم الموجود والعالم الآخر الذى سيوجد . . .

يبحث الفيلسوف عن الاسباب والنتائج ليعرف مثل الجمال الأعلى وآثاره الحقيقية ، لكن الفنى فى قبل كل شىء يعبر عن الحياة والشعور بالجميل ، فيرينا نفس شعوره ، شعوره النقى ، شعوره الخاص ، شعوره الحر الذى يفقد سحره اذا قيد . . فالموسيقى أو المغنى يعبر عن جميع النواحى ولا يعبر عن ناحيه واحدة خاصة ، فهو لا يصور بل يلمس ويهب حركة للخيال فيحضر صوراً تضرب على أوتار القلوب عند ما يمثل لنا السرور والحزن بكل مناحيهما وفى تمثيله الوحدة بشعور الدين ، البطولة ، الحماس ، الامل ، الحب الخ . . .

والتمثيل يستمط اذا أردته تقليدا فى الرعب والشفقة أو تقييدا فيهما ، وجمال التمثيل ، وجمال الرواية التمثيلية فى أن تتبع الحقيقة فى فكرتها وفى حياتها . وبذا يختفى شعور الفن ليحل محله شعور طبيعى صرف . . فعند ما أتخيل مثلا وانا

فى مسرح ان « بروتس » ذلك الجميل فى خلقه ، العالى فى نفسه يقدم على قتل صديقه قيصر ويضحى بعاطفته الشخصية فى سبيل فكرة ثورية خاطئة ! . أتمثل الرعب كانه حى يرزق وأتمثل قيصر قريبا منى يصيح مستفظعا الخيانة وأنت يابروتس ! اذن . يموت قيصر »! !.. والشعر لا يكون شعرا الا اذا مثل الحياة وصورها تصويراً صادقا فمثلا عندما تقرأ قول الشاعر لصديق خان

أجفوتنى فيمن جفانى وجعلت شانك غير شانى
ونسيت منى موضعا لك لم يكن لك فيه ثانى
وسررت يوما واحـــدا أن لا أراك ولا ترانى
وهجرتنى وقطعتنى وقليتنى فيمن قلانى

أفعلتها ! فالله المستعـــان الله أفضل مستعـــان

تشعر بحياة هذا الشعر لانه يمثل لك الفجيعة فى خيانة الصديق .. فالفن اذن ما كان صورة للحقيقة بروعتها وحيائها بسحرها وفتنتها وفجيعتها !! . . .

جمال الاسلوب : على ان الكاتب الذى يملك ملكة الكتابة يملك شيئا ليس هو المسيطر عليه دائما . فقد يكون

خاضعا لقواعد ومبادىء ، ولـكن لابد أن يأتى وقت يتحرر منها ويكتب بلا مراعاة لها ومع ذلك نقبل كتابه صامتين ، فمثل هذا فنى بالاسم وليس جديرا الا بقليل من اللوم او الثناء لانه مجرد واسطة يردد نغمات الوحى كما تقول (١)

Charlotte Brontë فى TheN ominal Artiste

ثم أن الجمل تكون قوية وجميلة حينما تكون غير طويلة ومرتبة الكلمات ترتيبا يساعد على أيضاح المعنى ، بان تتكلم ما يمكن من الطريق الاقرب ، ويجب أن يكون اسلوبنا كخيط حريرى موضوع بحيث يمكن الاهتداء الى أوله ومنتهاه غير ممزوج ومختلط مما يدعو لان يكون عقدة كما يقول (٢)

Practical Advice فى Ben jonson

ويحدثنا William Hazlitt فى Familiar Style

---

(١) ص ١٠ ـ ١١ anthologies par T. I. مجموعة النثر الانجليزى لكلية الاداب لاستاذنا بونامى دوبربه سنة ١٩٢٩

(٢) ص ١١ ـ ١٢

عن الاسلوب المألوف فيقول (١) ان القوة الحقة لاتتصل بالكلمات نفسها وما فيها من جمـــال النغم أو التأثير (Fine sounding or affective) ، بل فى تطبيقها أى وضعها فى مكانها الملائم لها او المتصل بالعبارات المكتوبة وأن الذى يوضح معانى الكاتب ليس هو المباهاة أو الادعاء ولكن أتصال الاصطلاح بالفكرة ، كما ان الذى يقيم دعائم البناء ليس كبر حجم المواد ولا ضخامتها ولكن وضع كل منها فى مكانه ، وكما أنه ليس أكره على النفس من أن يشغل شيء فراغا اكثر مما يستحقه ، فكذلك من العبث الكريه ان ترص جملة كلمات رصا من غير ان يكون فيها شيء من المعنى ، بل ومن الحمق أن يعمد الكاتب الى ان يستعمل جملة اساليب متنافرة لم يصل ولن يصل فى أيها الى التعبير كما يجب عن افكاره .

ولكن الشعر كما يقول (٢)

---

(١) ص ٦ ـ ١٠ (٢) ص ٧ ـ ١٠

Coleridge في What is Poetry

يتعارض مع المؤلفات العلمية لان غرضه الاطراب لاسرد الحقيقة ، ومع هذا فان كل جزء من القصيدة الرائعة يجب ان يكون دعامة ومفسرا للاجزاء الاخرى فالشاعر يطرب الروح الانسانية بمزجه وتوحيده البعض مع البعض مستمدا قوة من الخيال ومن مزجه الطبيعى بالصناعى مع اخضاعه الفن للطبيعة ، حتى قال (١)

Arnold في Poetry a Criticsm of Life

ان عظمة الشاعر فى قوته وجمال استعماله افكار الحياة ،وان التأثير على الافكار الاخلاقية من الشعر تأثيرا أيضا على الحياة. ثم يجب — كما قال (٢)

Landor في The Poet must order

ان يكون الشاعر ذا سيطرة علي عاطفته وذا خيال وتأمل وتمييز حتى لايتأثر بل يؤثر .

---

(١) ص ١٧ ـ ١٨ (٢) ص ٩

(فالكوميدى) لاتصبح شيئا تحت تأثير الخيال الحار الهائج المثير ، بينما المأساة تفقد تأثيرها لو قنعت بكثير من الافكار ، ولذا كان (هو مر) نفسه وهو لم يعان شيئا من العواطف مرسلا لها فى رسائله على جناح السرعة الدقيقة ، ولقد حدثنا عن بريام ملك تروى الذى قتل ابنه وطاب من عدوه اشيلس القائد اليونانى أن يسلمه جثته ، ولكنه وهو يقص علينا قصته وقف غير متأثر ، وبذا يكون الشاعر فى خياله ملك العلوم

The Poet the Monarch of Science

كما سماه Sir Philip Sidney ، إذ لا يرى سبيل الحق فحسب بل ويدعو الآخرين الى اتباعه ، وهو فى علمه لا يبدأ بالتعاريف الغامضة ، بل يسحر القارىء والسامع بكلماته المنسقة (١) وهو الرسول القدسى

The Divine Herald كما يصفه Shelly حيث يقول (٢) أنه

---

(١) ص ١ (٢) ص ٢٤ و ٢٥

الرسول الذى لايخيب فى ايقاظ الشعور وتغيير وجهته إذ يقرأ غامض الرسائل وعليه تنعكس أشعة المستقبل ، فى كلماته تيار كهربائي يضيء ويثير ويحرق ويحترق ، هو المشرع الغير معترف به

unacKnowledged legislator

وينصح Boileau الشاعر (١) أن يمتحن طويلا روحه الشعرية وقوته فيها ، وأن يعني بالمعنى قبل القافية ويجعلها خاضعة له ، وينصح بتجنب المغالاة وترك التفاصيل الغير ضرورية ، وتنويع فنون الاحاديث ومغايرة الاساليب لكى لايمل القارىء ، ومجانبة الحطة فى الكتابة ، وتحرى السهولة وترك الطلاء المزيف ، واتباع الوضوح ، والتفكير قبل الكتابة ليساعد ذلك على جلاء العبارة ، وعدم الغلط النحوى أو الصرفى ، والتنقيح بالاضافة والحذف .

---

(1) Boileau - L,art Poétique.Principesgénéraux extraits duchant· l.

جمال الحرية : أتى على هذا العالم المنكود حين من الزمن ضرب ليل الاستبداد فيه فسطاطه وأقام الظلم لواءه فنشرت العلل الاستبدادية أجنحتها عليه ، فكلت البصائر ومرض الهوى ، وسقمت الضمائر ، وفسدت السرائر ، وغلظت الاكباد ، وعاث الاقوياء فى الارض فساداً ولم يرعوا عهد الضعفاء ، أخوانهم فى الانسانية . . فطفح الكيل ! ! . . وكانت للضعيف نفس قوية فلم يطق على الظلم صبرا اذ قد تشربته حماه وتأكلت لحمه حتى غادرته عجيفا هزيلا ، ولم تبق له الا قوة معنوية وروحا حيوية كمنت وتوارت . . حتى اذا مانشبت الحرب بين الحق والباطل ، ظهرت وسلت سيوف معانيها ، وسيوف الحق جائف دوما جراحها ، ومحمود فى حرب الباطل وقعها ! ! . . لاتعجب ياصاح لهذه المدنية المزيفة فان هى الا وليدة مدنية الرومان التى يقول عنها (لاروس) فى دائرة معارفه مايأتي : « كانت على وجه الاجمال عين الوحشية والقسوة مرتبة فى صور قوانين أما من جهة فضائل روما مثل الشجاعة والمكر والتبصر والنظام والاخلاص المطلق للجمعية

فهى بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص : أما وطنيتها فكانت مرتدية لباس الوحشية فكان لايرى فيها الا شرها مفرطا للمال وضياعا لاحساس الشفقة الانسانية . أما العظمة فى روما والفضيلة فيها فكانت عبارة عن أعمال السوط والسيف فى العالم والحكم على أسرى الحروب بالتعذيب أو بالاسر وعلى الاطفال والشيوخ بجر عربات النصر ! . . »

لكن : . . ساعة النضال بين الحرية والاستبداد يجب كما قال فكتور هوجو « ان يرتجف أحد اثنين : القوة أو الحق . فلنواجه كل جريمة يراد ارتكابها ولنتقدم نحوها فان الحق اذا تقدم تقهقرت الجريمة الى الوراء ، على أنه اذا انتصرت الجريمة نكون قد قتنا بواجبنا فيرتاح ضميرنا وأن لم نفز ! . . »

*الحق اله يعبد، فيجب ألا تنى فى عمل شىء فى سبيل الحق مهما كلفك عزيزاً . . . فى سبيل الحق جابه أعظم عظيم على وجه الارض ، فى سبيل الحق لاتأخذك لومة لائم ، فى سبيل الحق كن حراً فى فكرك حراً فى نفسك مراقبا ربك فى عملك.

خرج قيس من مجلس الوليد مغضبا يقول « أتريد أن تكون جباراً والله أن نعال الصعاليك لأطول من سيفك » وكان تراجان العادل اذا قلد سيفا لقائد يقول له « هذا سيف الامة أرجو ألا أتعدى القانون فلا يكون له نصيب فى عنقى » وقيل لاحد الاباة ما فائدة سعيك غير جلب الشقاء على نفسك فقال « ما أحلى الشقاء فى سبيل تنغيص الظالمين » ولقد سأل (نيرون الظالم) أغرو بين الشاعر وهو تحت النطع من أشقى الاشقياء فأجاب معرضا به « من اذا ذكر الناس الظلم كان مثالا له فى الخيال » وهذه ذات الناطقين أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما تودع ابنها الوحيد وهى امرأة عجوز بقولها (أن كنت على الحق فاذهب وقاتل الحجاج حتى تموت) ففى سبيل الحق يضحى الانسان نفسه وفى سبيل الحق تعمل الامم الناهضة فاذا عملت فليكن عملك للحق وفى سبيل الحق فليعمل العاملون .

* * *

GLAD DAY
LOVE AND DUTY
LIBERTY IS
OBEDIENCE
TO THE LAW

جمال الحياة الجامعية : تقوم الحياة الجامعية على أستاذ بار وطالب باحث ، وعلى مظاهر حياة وحركة علمية وأدبية يقوم بها كل من الاستاذ والطالب ، وتقوم هذه المظاهر على قوة روح الاتصال وعلى فهم معنى طالب الجامعة بأنه طالب الحياة بما فيه من حقائق يندفع وراء معرفتها ، وشخصيات يغرم بتحليلها ليستخرج منها دروسا وعبرا وليستنتج منها نظريات ، وتلخيص لضخم المجلدات فى قليل الاسطر بايقاف الناس على تجارب الامم والاشخاص فى أقل عبارات تجمع ما أرادوه من معان وبالبحث وراء الحقيقة ، وبايجاد روح الحياة فى المجتمع بمحاضراته ومجتمعاته وبقيامه بالقيادة الفكرية والاقتصادية والعلمية والادبية والفلسفية والفقهية والاجتماعية فى البلد ، وبفهمه نفسه وفهمه من حوله وماحوله ، واحترامه شخصيته وتقدير الناس بعلمهم وأخلاقهم لابمادتهم ومظاهرهم ووقوف على معنى الحياة ومعنى الحق والقوة والجمال ومحاولة أن يكون جهده لهذه المعانى ومستمدا منها .

أما الاستاذ فهو مضطر بحكم وظيفته الى أن يبحث ومضطر بحكمها ألى أن يكون حركة مستمرة لاوقوف لها لان الحياة الجامعية تضع المتحرك فى الدرجة الاولى وتضغط على الساكن حتى تضطره اما الى الحركة الطيبة واما ألى الخروج عن البيئه الجامعية ، ولكن قد يفهم بعضهم أن مهمة استاذ الجامعة أن يلقى درسه القاء ماديا وأن تكون صلته بطلبته صلة مادية قائمة على هذا الالقاء من جانبه وعلى تلخيصه واستذكاره من جانبهم ، بلا تقدير للعاطفة ولا للحياة ولا للشعور ، وأنى لاذكر هنا فى صراحة وجلاء أن هذا الصنف تجرفه أيضا الحياة الجامعية ، وهى فى هذه المرة تقسو عليه ولاتحنو فتلفظه وتنبذه وتجعل علمه مادة جامدة وبحثه متصلا بالمادية البحتة وتبعد الطلبة عن ان يفكروا فى تكملة ما بدأه او اتمام مالم يكمله ، وتجعل زملاءه ينصرفون عنه ، فهو منبوذ من تلاميذه منبوذ من اخوانه الاساتذة فلا يلبث أن يرى المادة قد قهرته وأن المادية قد أرغمته على تركها ، ولكن طبيعته لاتستطيعها ، فيرغم على ترك الحياة الجامعية أو على

أن يكون أستاذا باسمه لابمعناه وصورة لاحقيقة ، ومثل هذا شر على الجامعة وشر على نفسه وشر على العلم لان العلم الصحيح ما أتى عن الروح واتصل بالروح ، ولان الجاذبية العلمية هى خير مؤكد للعلم فى الصدور وخير داع للاقبال عليه والى حبه وحب التعمق فيه والبحث عن دقائقه والرغبة فى دراسته . والمعرفة أيا كانت وأيا كان نوعها ، متصلة بالحياة الاولى أو بالاخرى ، محتاجة لهذه الصلة الروحية بين الاستاذ وتلميـــذه والا لماذا اصطفى الله الانبياء والرسل الكرام من كبيرى القلوب محبى البشر ، ولماذا أتى فى القرآن الذى أنزل على محمد « لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ولماذا أتى فى الانجيل الذى انزل على المسيح عيسى بن مريم « الله محبة » ولماذا كانت صحف موسى كلها قائمة على الدعوة للخير من طريق المحبة واللين والعطف ؟

بل ولماذا كانت الحياة النيابية قائمة على الديمقراطية وعلى أن لافرق بين هذا وذاك الا بما يكسبه من عطف الجماعة بما يقدمه من عمل ؟ هذا ، لان الله وقد بنى الخير فى الحياتين

على ماتقدمه القلوب ، جعل للقلوب الصفة الاولى فى تسيير العالم ، فالاستاذ أيا كان اسمه اذا استطاع أن يكسب عطف تلامذته أيا كان اسمهم ، يستطيع أن يحببهم فى دعوته أيا كان موضوعها دنيويا أو أخرويا .

لذلك كان أول مظهر للحياة الجامعية ليس الاستاذ الكفء ، فهذا أمر مفروغ من وجوب تحققه ، وإنما استاذ له قلب كبير يعطف به ، ويحبب طلبته لعلمه ولمؤازرته بهذا القلب وله روح جذابة يستطيع بها ايجاد أنصار له يساعدونه على نشر دعوته .

وإذا انتهينا من الاستاذ فى الحياة الجامعية ، فاننا نولى وجهنا شطر الطالب وما يوجده حوله من حياة صلة باستاذه وحياة صلة بأخيه الطالب وحياة صلة بالعالم الخارجى ، وأساس هذا ليس النبوغ ولا العبقرية ولا بعد الصيت ولا الشهرة وما اليها ، بل أساس هذا اتصال قوى يوحد بين العناصر المختلفة التى ولت وجهها شطر وجهة واحدة فى الحياة والتى تعمل لغاية واحدة ، وبذا يعطى النابغة من نبوغه لاخوانه

قبسا ، وبذا يقدم المشتعل من اشتعاله روحا ، والعامل من عمله اقداما ، والمقدم من اقدامه حياة فتتآلف عناصر القوة والحياة والحركة ، فتدعو الى الانتاج الخصب الطيب .

* ولقد خفق قلبي ويخفق لحب الحق والقوة والجمال ، وشعرت وأشعر بالعطف الانسانى ، وفى هذين تفنى الذاتية وتندفع النفس بجزئياتها وتلتذ الروح بكلياتها ، مع تفاوت فى درجة الشعور وفى عمقه بما يتصل بالنفس من حالة سمو أو حالة ركود يدفعها الى نكران كل شىء سوى مايشع عليها من أيمان يجعلها تتشبث بالحياة وتتشبث بالخروج من المادة وضعفها الى الروح وسموها ورفعتها ، وتدعو الانسان لاحياء الروحانية فى نفسه واضعاف المادية من أعماق قلبه ليشرف على النور من النور وعلى الحياة من الحياة .

وانما يدفعنا للعمل ويحفز بنا الى الامل لهو مانشعر به من قوة العناصر التى تحيط بنا ، وما يندمج فى شخصياتنا من فضائل شخصيات غيرنا ، ولذلك كانت الزمالة فى كل فن وحرفة وعمل ، والوحدة فى كل مجتمع ، إما دافعة الى شر

واما مخرجة الى خير ، وبقدر ماتعطينا من قوة ، تقوى ، وبقدر ماتسلبنا من فضائل ، نضعف ، وبقدر ماتمتزج بنفوسنا من عناصر ، نكون ، وبقدر مايتركب فى عالمنا الخارجى يتكون عالمنا الداخلى ويخرج ما فيه من مركبات التفاعل الكيميائى النفسى قويا ان قويت مركباته ، أوضعيفا ان كانت عناصر ضعف .

ولذلك قد نندفع أحيانا فى رعاية حق الزمالة وفى العطف على جميع الزملاء ، وقد ننكر الجميع إلا من توحدت نفوسهم بمعانى قوة نشعر بقوتها وسموها ، وقد ننكر الجميع بلااستثناء ونقسو فى هذا النكران اذا أصابنا ممن كبر اتصالنا به ما يشعرنا بضعة نفسه ، وبأنه كان خادعا لنا فيما حسبناه فيه من مناحى القوة النفسية ، وكان كاذبا فيما ظهر لنا به من مظاهر الحياة الروحية ، وبانه الضعة كلها والشر كله . . وقد يستمر هذا النكران معنا ساعات أو أياما أو شهورا حسب ما أصابنا من جرح ، ثم ترجع بنا النفس الى حيث التسامح والعطف على الجميع ، والرثاء لذلك المنكر فيما يحسبه قوة فى

نفسه ، وقبوله بصدر رحب اذا مارجع الى الاخوة نادما على ما أصابها به من جروح .

ولا أدرى فى ساعات الشعور بالجمال الروحى غير المدرك حسيا ، لم أشعر بالعطف القوى على الجميع حتى على صغيرى النفوس جامدى الشعور ، ولا أدرى كيف ينقلب هذا العطف الى ثورة فى النفس تبدأ بتعنيفها على ما قصرت فى حق هؤلاء وتنتهى بان الحق الروحى انما يكون للقوى فى نفسه حى الشعور أما عديم الروح فليس جديراً بان يكون له حق روحى علينا .

وبذا ترى أيها القارىء أنى حينما أكتب وحينما أبين وجوب اتصال الطلبة بعضهم ببعض ، أنما أبغى اتصالهم لكى يشعروا بالاخوة ولكى يشعروا بالوفاء ولكى يتصلوا علمياً لينقلب هذا الاتصال فى الحياة العملية تآزرا فى سبيل العلم وفى سبيل الوفاء وفى سبيل الوطن ! ! . . .

* وما نراه عائقا لوجود الصلات الاخوية بين مجموع الطلبة لايخرج عن عرور علمى ظنا من المغرور أنه يفوقهم أوعن فهم معكوس لمعنى الكرامة ظنا منه انها ادعاء كاذب أو

(نفخة) أو ظهور كاذب سمج بالوقار وبالتعالى على الغير أو عن غرور نفسى ظنا منه انهم دونه أو عن نزغة ارستقراطية شيطانية سخيفة ظنا منه انه أسمى منهم شرفا ومحتدا واكثر منهم مالا وجاها ، أو عن جهل بمعنى التواد والعطف وإنكار للذتها الروحية وايغال طويل فى هذا النكران ، أو عن احجام عن الصلة مع رغبة قوية فيها خوف أن يكون المتصل به من النوع السمج أو السخيف أو الارستقراطى المتعالى أو المغرور أو الذى لا يرعى عهد الغير ويرى واجبا على الغير رعاية عهده مع نكرانه لعهودهم وحقوقهم عليه ، ولذلك ابتعد الزميل عن زميله لتحقق هذه المعانى أو لشعوره بوجودها أو لتوهمه اياها ، ولذلك لا يمكن التقريب بين الزملاء بابعاد هذه المعانى وايجاد جو يشعر بازالتها وتقويتها بايجاد مظاهر الاتصال العلمى والأدبى ، وتهيئة الظروف لاجتماعهم اجتماعا عائليا جامعيا بعيدا عن التقييدات الرسمية فى حفلات تعارف وسمر بريء يوحد بين أرواحهم ويمزج نفوسهم بالحب الاخوى الصادق ، وإيجاد جمعيات جامعية تقوم بايجاد النشاط

الجامعى ويوجد مجالا لظهور الملكات المختلفة ومجالا لان يعجب الزميل بملكات زميله ولان يقف على مافى نفسه من قوة ومافى خلقه من سمو ومافى فكره من جمال وما فى ملكاته من نمو ، والاعجاب أول مراقى الاخوة الصحيحة التى تصل بهم للعروة الوثقى التى لا انفصام لها والتى تزداد على مرور الايام جدة وقوة وحياة ! ! . .

* وليس سرا ما أقوله عن قصور الطلبة عن الاطلاع لان مكتبة الجامعة العامة تحدثك عن زائريها من الطلبة وأنهم لا يزيدون عن صفر فى المائة سنويا وان زادوا فالى واحد فى الالف يطلبون سخيف الكتب التى لا تتصل بالابحاث العلمية بل تتصل بالحكايات والروايات وفلسفة التناسليات وما اليها ، وما نشأ قصور الاطلاع الا عن أن الطلبة أنفسهم لم تمهد نفوسهم له ، ويؤثر شعورهم بالمستقبل وظلامه الى الانكباب القاصر على مذكرات الاساتذة العلمية والتهامها للامتحان للخروج من الامتحان ومن المعهد لا استعدادا للحياة بل تأدية آلية لواجب الدروس .

* ولاشك فى ان الطلبة المصريين أبعد الناس عن معرفة كيف يقضون أوقات فراغهم ، لان روح التفكك وعدم الوحدة الاخوية تجعل قضاء أوقات الفراغ امافى عبث غير برىء بالانفراد أو مع جمع سىء من الزملاء ، أو فى عبث برىء غير منظم وغير مفيد ، وتجعل الطالب ينتقل من عبث لعبث لانه يسأم عبثا فيضطر لتغييره بعبث ولانه لايجد فى لهوه العزاء الروحى الذى يبغيه ولاالطرب النفسى الذى يتشوق له ولا اللذة البريئة التى يعمد لها فى أوقات فراغه وجلى أن من يفقد اللذة الروحية وأسبابها يعمد للذة المادية فى أحط أنواعها .

ولعل أحسن فئة من الطلبة تقضى وقت فراغها كله فى مطالعة الروايات أو فى السينما أو فى المسارح أو محال الغناء أو القهاوى وماإليها لمجرد ضياع الوقت ، لا للدراسة للاشخاص أو للحوادث ولا للذة الفنيـــــة ولا لتحليل الامور لانهم لايفهمون كل هذا ولا يعنون به . ولذا كنا أبعد الناس عن تنظيم أوقات فراغنا وكنا أبعدهم عن الاستفادة منها

والافادة بها وكان وقت الفراغ شرا علينا وعلى أخلاقنا ومالنا ونفوسنا ، بل وكان موسعا من هوة تفككنا لان أوقات الفراغ المفروض انها مقربة ومسهلة للاجتماع ومقوية له ، هى على العكس عندنا من أقوى البواعث على التفرق اذ لكل شخص وجهة هو موليها ، وليس فى وجهته الفردية مايحتاج لمجموعة أو لتعاضد أو تناصر وتآزر ، فنخرج من العطلة أو من أوقات الفراغ أيا كان أمدها ونحن أكثر أيمانا بفكرة الوحدة من فكرة الاجتماع والاتصال ، اذ لن يجد الفرد منا لذة فى الاجتماع باشخاص متباعدة أرواحهم أو غير متقاربة نفوسهم لانه لن يجد لذة فى القرب الا بمن زالت الكلفة بينه وبينه ، وقرب منه وده ونأت عنه مظاهر بعده ، وهو إذا فكر فى عمل نافع أو لذيذ يفيد المجموعة مضطر لان يجمع حوله هذا الصنف وهذا الصنف غير موجود وغير ميسر له ولذا هو مرغم على تحويل فكره عن المشروعات الاجتماعية الى المشروعات الفردية التي قد تنفعه ولا تتعداه الى غيره أو قد تقوى فيه معنى الفردية فتقوى فيه معانى أنا الذاتية

وتبعده عن أنا الكلية ، انا الفردية تفنى فى المجموع ، ولذا فشلنا ونجح غيرنا ، ولذا تأخرنا وتقدم سوانا ، ولذا تفككنا وتضام الآخرون ، ولذلك كانت أوقات الفراغ دواعى ضعفنا بينما هى دواعى قوة غيرنا ومن أسباب نهضتهم لانها مقوية أرواح الاجتماع والتآزر فيهم .

* ومن أهم مظاهر الروح الجامعية أن تكون الجامعة وحى الثقافة العامة فى البلد ومبعث الفكر الحر والتفكير الناضج فيه ، بان يقوم طلبتها وأساتذتها بالاشتراك مع الادباء والمفكرين فى البلد على بث الدعاية لهذه الروح حتى ينظر لها الطلبة جميعا ككعبة يولون وجوه تفكيرهم اليها و كنبراس يهتدون به فى ديجور الظلام ، لذلك كان واجبا أن تنظم المناظرات وأن يوضع لها نظام يكفل نفعها ويحفظ لها قيمتها كصادرة من أكبر معهد علمى فى الشرق ، وأنى أحاول فى هذه الصفحات أن أضع صورة تخطيطية لهذا النظام حتى اذا أعجب القائمين بالأمر فى الجامعة أخرجوه الى حيز العمل ووضعوا له مايعوزه من تحسين .

يجب أن يراعى فى المتناظرين القدرة على الكلام المرتجل من غير تحضير أومن غير قراءة ، لان للتحضير عيب القصور عن أن يتمشى مع روح الجمهور ويناجى قلوبهم ويتصل بهم ، وعيب القراءة اتصال بالورقة واهمال المستمعين ، وأن يراعى فيهم سبق التعارف وتقسيم الموضوع فيما بينهم بتناول كل منهم ناحية من نواحيه أو جزء من أجزائه حتى يستكملوا معا عناصره وحتى لايعيد الواحد منهم مايقوله الآخر مكررا بألفاظ أخرى ، وأن يكون كلهم آذانا صاغية وقلوبا واعية وروحا خفيفة يستطيع بها الخام خصمه وادراك أوجه ضعفه فيهاجمه منها ويجذب اليه السامعين بمداعبتهم ومحاولة أن يمزج حججه بالقوة وحديثه عن كلام خصومه بأخذه منهم ورده عليهم .

ويجب أن يختار رئيس المناظرة شخصا جذابا مفكرا يعرف كيف يسوس الجلسة وكيف يسكت بلطف مناظرا خرج عن حده أو سامعا قطع على المتكلم حديثه ، بان يحمل جمهور السامعين على حبه واحترام مركزه كرئيس هذا البحث

العلمى ، مع مراعاة عدم انحيازه للجانب السلبى ولا للجانب الايجابى وتسامحه فى بضع دقائق يطلبها منه المتكلم لو رأى الجمهور يميل لاطالة سماعه ، وايقافه ولو قبل انتهاء ميعاده اذا رآه كارها له أو غير مكترث بقوله .

اما جانبا المناظرة فيجب أن يفهما ان المناظرة لذتها فى الجدل وقوته وأنه لايراد بها انتصار هذا أو ذاك ، بل عرض لوجهتى النظر حتى ينحاز السامع لهذه أو لتلك ، وان النصر ليس فى التصويت لهذا الجانب او لذاك ، بل للذى استطاع ان يتكلم والذى استطاع ان يدلى بحجج والذى استطاع ان يفحم خصمه ويرد على ما أدلى به من حجج وما أتى به من براهين ، والذى استطاع أن يكسب عطف السامعين وحبهم لقوله وميلهم لسماعه

* ونحن لانستطيع تحديد النبوغ لان فيه مناحى مختلفة وان له وجهات متعددة ، ولكن للعبقرية كبير صلة بالفكر والتفكير ، فمن له رأى خاص مستقيم ، ومن له وجهة خاصة فى الحياة ، ومن يفهم الحياة ويتصل بمعانيها فقد أوتى قسطا

من النبوغ . وانا من الذين لايؤمنون بكمون النبـوغ وأنه اذا قدح اورى والا توارى لان النابغة ممتلىء حياة فى ناحية من نواحى فـكره ولا بد أن تظهر هذه الحيـاة فى حركاته ، فى حديثه ، فى نظراته ،فى وجهات نظره ، وحتى فى اشاراته لانه شخصية فذة تشير عن نفسها بنفسها ، تلفت النظر لها أما لغرابة تطوراتها او لزيادة حيويتها وذكائها أو لتفانيها فى الاخلاص لمبادئها .

فالنابغة من كانت له شخصية تظهر فى بحثه وتفكيره وحديثه وحياته ووجهات نظره فيها ، فهو يشع من نوره على الاشياء نورا ، ويبعث من حيانه على الامور حياة ، وينفخ من روحه فيما حـوله روحا ، وعلى ذلك فاذا تحدثنا عن النبوغ فى الابحاث فانا نخرج من عـدادهم من يصـل كلمة من زيد باخرى من عمرو ، واذا تحدثنا عن النبوغ بين الطلبـة يجب أن نـكون حذرين من تقدير النبوغ بالارقام ويجب أن نعنى بتقديره بالملـكات وبالفكر وبالحياة ، لانه لافضـل لرجـل الارقام الا بقوة الذاكرة وحدها ، بينما النابغة قد يؤتى قوة

الذاكرة وقـــد يفقدها ومع ذلك فملكاته مرتفعة حقيقة لاصورة ويصلح لكل شيء وفى كل شيء ، لانه رجل الحياة والعمل ، لارجل الارقام . وبينما لايصلح نابغـة الارقام الا لما يتصل بالارقام فان نابغة الحياة والعمل يصلح لكل شيء وبينما لايصلح نابغة الارقام الا لمايتصل بالمذكرات والكتب من مطالعة وحفظ ، فان نابغـة الحياة يجمع بين المطالعة فى الكتب المطالعـة فى الحياة ومحاولة أن يكون له فيما يقرأه ويراه ويسمعه رأى يجاهد فى سبيله ويعمل لنشر دعوته .

هكذا يجب أن نفهم النبوغ الجامعى ، وبمقياس الحياة والقوة فى الفكر والابتكار يجب أن نقيسه لا بالارقام وقوة الحفظ وكثرة الاستذكار ، اذ كما قال مونتين

« Savoir par coeur n,est pas savoir »

* ولا نعـده اجتهادا جامعيـا أن يعنى الطالب باعادة المذكرة عشرين مرة أو خمسين ، فهذا اجتهاد (كتاتيبى) لاشأن لنا به ، وقد ينجح صاحبه بل قد يتفوق على اخوانه فى النجاح بمراحل ، ومع هذا لازال ظننا به الاستعداد لكل

شيء وعدم الصلاحية لشيء apte à tout bon à rien
انما نعنى بمظاهر الاجتهاد الجامعى زيادة على استذكار الدروس وفهم المذكرات — ذلك الواجب الاولى على كل تلميذ فى أى مرحلة من مراحل التعليم - حب البحث والاطلاع والتعمق فى بعض موضوعات تلذ له بالذات .

* ويحلو للباحث فى التربية العلمية الجامعية ان يحلل بصراحة نفسية كل طالب جامعى ومافى خلقه من قوة أو ضعف وفى عقله من نماء أو خمود وفى قوته المفكرة من ميل للارتفاع وقابلية للنمو أو ميل للسقوط ووقوف فى النمو ، الا ان هذا المطلب صعب التحقيق ، لانى أريد من الوجهة النفسية ان ارى القوى مستمرا فى قوته غير واقف فيها عند حد ، وأن آمل من الضعيف مجاهدة لهذا الضعف ، وان يعرف الكل كبير النفس منهم وصغيرها ، القوى الذكاء منهم وضعيفه ، والعامل منهم والخامل ، انا لا نعبأ كثيرا بالحاضر الا كدليل على المستقبل ، وان الحياة قابلة لمحو الماضى مهما ساء اذا حسن الحاضر ورقى المستقبل فاذا كنا ننحنى

اجلالا امام القوة ، فانا نرثى للضعف ، وان كنا نعجب بمناحى الرقى فانا لانحتقر دلائل الانحطاط ، بل نجاهد فى سبيل تغييرها لتصل للحق والقوة والجمال ! ! . .

* والغرض من الدورس ان يشرح الاستاذ لطلبة الفرقة المسائل العلمية التي وردت فى منهج الدراسة للمادة التى يقوم بتدريسها (١) ، فيجب على الطلبة الاخذ بالمنهج التعليمى (البيداجوجى) بالمواظبة على حضورها لان فى سماعها تسهيلا على فهم المؤلفات وتربية سريعة للملكة القانونية اذا كانوا حقوقيين مثلا - وملكة سماع الدعاوى والمرافعات وتعود الذهن على ادراكها بسهولة ، كما يجب عليهم اخذ مذكرات لما يلقى ليتعودوا عليها وليحولوا دون مرور الخواطر المختلفة على الاذهان اثناء الاصغاء للدروس ، وأن يلخصوا مذكراتهم وما يقرأون من كتب ليرسخ لب المقروء فى الذهن فيستعينوا به على المراجعة ، ويساعد على تربية ملكة التلخيص

---

(١) ص ١٨ تقويم كلية الحقوق ١٩٣٠ - ١٩٣١

التى تساعد على حصر مكان الآراء القيمة لكل مايقرأ ، وان يطالعوا مستعينين بمجموعة القوانين العربية والفرنسية والاطلاع على كل مادة يشار اليها (١)

* أما فى قاعة البحث فنرى وجوب ان يتفهم الطالب كيف يبحث، فليس البحث القانونى مثلا كما يظن كثيرون عبارة عن ايراد جزء من قول بلانيول عن الموضوع وجزء آخر من قول كابيتان ، وثالث من قول بودرى لا كنتنرى وبارد ووصلها ببعضها حتى تكون بحثا مطولا يبدو تفككه ويبدو ضعف الباحث الناقل نقلا اعمى . . وأنما اذا اردت بحث موضوع يجب أولا أن ترسم صورة عامة عنه فى ذهنك ، ثم تتبع هذه الصورة بتخير خير المراجع التى كتبت عنه ثم تقرأ كل هذه المراجع وتلخص منها مايتصل بموضوعك تلخيصا يعطى فكرة المؤلف عن الموضوع تماما

---

(١) ص ١٢ ـ ١٥ مقدمة النظرية العامة فى الالتزامات للدكتور عبد السلام ذهنى بك

ثم تقارن بين مختلف الآراء وتخرج من ذلك بالنتيجة التى تستنتجها من هـذه المقارنات . مع ملاحظة الالمـام بكل صغيرة وكبيره تتصل بما أوردته فى بحثك ، لتناقش فيـه ، ولـكى يبدو لاخوانك واساتذتك انك لست مجرد ناقل . . . بل لك مجهود شخصى وتفكير خاص ، وأنك تعرف كيف ترتب المعلومات وكيف تهضم ما تجمع منها وكيف تقـدمه بحثا طريفا لايمت بصـلة ألى أى كتاب من الـكتب التى رجعت اليها الا بصلة أخذ الفـكرة عن أصحابها وردها اليهم ومناقشتها ومقارنتها بغيرها .

* وفى المحاضره يجب أن تراعى قواعد فنية لايستطاع التأثير الا بها ، والمجمع عليـه ان المحاضر الذى يلقى المحاضرة (كفونوغراف) يمل سامعيـه ولايستفيدون منـه شيئا لانصراف الفـكر إذ ذاك عنه الى غـيره ، فيكون بذلك (فونوغرافا) يدوى بين جدران القاعة وليست معـه آذان صاغية ولا قلوب واعية ! ! . .

وكذلك المحاضر الذى يأتى بالمحاضرة مكتوبة من

غـــير مادراسة جـدية لها وفهم لدعائم موضـوعها ، يلقى محاضرته وقد فقد الجاذبيـة التى يجب أن توجـد بينه وبين سامعيه ، ففقد بذلك أكبر صلة تصل بينهم وبينه بل يبدو سخيفا لانه يبـدو ناقلا عاجزا فتنصرف نفـوس سامعيـه عنه ايضا !! . . .

فيجب على المحاضر تحضـير محاضرته كطريقة البحث التى ذكرناها ، يدرسها بامعان ويناقش نفسه فيما عسى ان يناقشه الغير فيها ، ويكتب اثناء دراسته دعائمها على شكل نقط بسيطة منظمة ، ثم يأتى فى المحاضرة بمحاضرته المحررة وبمذكرته الموجزة ، ويتكلم عن الموضوع بترتيب المذكرة واذا خانته ذاكرته فى تفصيل رجـع الى ماحرره بطريقة لاتفهم السامعين خروجه عن الطبيعة الى التكلف بل تؤكد لهم استمراره فى سهولتـه وبساطة القائه ، فيشرح لهم من المحرر ويزيد لهم من عنده مايحيي محاضرته ويواصل الجاذبية بينهم وبينه ، فيواصلوا الاصغاء اليه لان الـكلام صادر من قلبه ومما وعاه صدره . . . لامن محرره ! ! لان المفروض ان

مايلقى عليهم هو خلاصة الابحاث التى وصل اليها بجده ، ونتيجة مجهود دروس طويلة مستمرة ، فاذا لم يكن حضرة المحاضر خبيرا بفن التلخيص والتركيز باظهار النقط الهامة وفهم الموضوع الذى يتكلم عنه خير لسامعيه ان يوفر عليهم وقتهم الثمين وخير له ان يوفر على نفسه مئونة (التسميع) أو القراءة ! !

فيجب على المحاضر اذا أن يتصل بالسامعين روحيا بايجاد جاذبية مغناطيسية بينه وبينهم ، عن طريق براعة الاستهلال وبراعة الانهاء وحسن الالقاء وشرح الموضوع الذى يتكلم عنه شرح فاهم له ، مستعد لمناقشته فيه ، غير متهرب من هذه المناقشة

* وبذا ترى أنه يجب أن تكون التربية القانونية مبنية على اسس قويمة من الحق والعدالة والواجب وأن يكون الجمال غذاء القانونى ، والحق وجهته وسبيله ، والعدالة والواجب هدفه ومرماه ، وان يكون ماركب فيه من عاطفة ومبادىء وميول مادية ومعنوية ، للحق وفى سبيله تضحى ، وأن تكون

أسس ثقافته قوية ، وأسس عطفه كاملة ، وأسس تفكيره ناضجة ، حتى يعرف طالب الحقوق سموه ، وأن السمو فى النفس والجهد والخلق والعمل ، وأن مهنته أشرف المهن المتصلة بالحق والقوة والجمال ، وأنه اذا فهم معنى الحق والعدالة فهم مكانته وأنها فوق الهام تتصل بمدارج الرقى ولا تعرف دركات الانحطاط ، وأنها الحياة المتحركة لا المادة الجامدة ، والمعنى الحى ، لا اللفظ المجرد عن الحياة . . . وأن يتخذ شعاره فى الحياة قول تنيسون بان يحترم نفسه ويعنى بزيادة علمها وكبح جماحها (١)

« Self-reverence, self knowledge,
self control,
These three alone lead life to
sovereign power.»
(Tennyson)

---

(١) راجع التربية القانونية والروح الجامعية لمحمود على قراعة

معانى الحب

الجمال والحب : يحدث الجمال فى النفس لذة ، وفى القلب هزة ، فيلفظ اللسان بالاعجاب به معبراً عن شعور الحواس ، وقد ينعجم متأثراً بهذا الشعور ، فلا يجد كلمة بها يعبر عن شعور صاحبه ، بل قد ينسى لغته فى تلك الاويقات ، أويقات الجمال ولذة الشعور به ! ! . .

فأذا ما أغلق حب الجمال علينا أبواب الكلام ورتج ، جعلنا نتعلل بالنظر فى درج ! ! . . فأى نفس لاتعشق الجمال وأى قلب لايصبو اليه ، ويشعر بلذته (١) ؟ ! . .

الا أن الاستشعار بالجمال ، يهيب بالعاطفة والعقل والخيال ، متخذا الحس وسيطا ، فيبعث الحياة ! . فكل من فى الوجود يحس ويشعر ، غير أن الحس يختلف باختلاف

---

(١) نسمى اللذة التى تحدث من تأمل الجمال (لذة الجمال) وهى كما نعرفها روحية ! !

النفس ، وتغاير الذوق (١) وتباين النزعات . . فهذا يرى الجمال فى أن (يتنطع) وذاك يراه فى ان (يتبذل) ، والجميع قد أخطأوا فهمه ، ولم يعرفوا له واجبه ، على أن فى العالم حكماء يعز عليهم صرع الجمال ، ويعز عليهم أن يمزج (بالقبح) ، أولئك هم الذين يشعرون ويتأملون ، هم الذين يحسون وللفكر أسلاك الحس يصلون ، أولئك هم الذين وصلوا الى كنه الجمال ، فعرفوه . وذلك هو السر فى فهم الناس معانى الجمال فهما مختلفا ! ! وأنا لنرى الحكمة فى عاطفة حب الجمال ، ونرى قياس العقول بقدرها ، فكلما كانت العاطفة متغلغلة فى النفس وصل الى درجة الرقى ، ونعنى به سمو النفس ورقى الروح وقرب من الكمال ! !

ويبعث الجمال حباً . . والغريب أنا فيما نحاول كتمان هذا الحب ، ينم عن نفسه . . أرأيت كيف يظهر فى اللفتة

---

(١) الذوق ملكة فى الانسان بها يشعر بلذة الجمال وتأخذه روعته ! ! ...

وفى النظرة وفى نبرات الحديث ونغماته ! . . أفرأيت ، ثم رأيت عاطفة لايمكن كتمانها ، وان كنا نقوى فى بعض الاوقات على اخفائها ، حتى يظن الذى نحدثه أنه عادى لنا وأن ابتسامتنا له أو اقبالنا عليه من قبيل المجاملات العادية بين الناس ؟ أفرأيت القلب كيف يخفق عند الحب . . والعين كيف تشع نوراً ذا معانى هى صراخ الحب ولحنه والفؤاد كيف يفشى سره بزفرة فى الصدر أو أنة فى النفس أو كلمة صارخة خارجة من صميم الروح ؟ . . اذا كنت تعرف ذلك فقل مع الشاعر الانكليزى فرنسيس بورد يلون

«اشهاد أيها القلب ويقظة أيها الرأى ، وحراسة أيتها الغفلة فالليل وللعقل عيون ، وليس للنهار وللقلب غير عين ، لكن يذوى نور العالم المضىء بأكمله اذا انقضى الحب ! ! .

حب الجمال بين الجسم والروح : قرأت للفيلسوف ابن سينا رسالة فى العشق ، يقول فيها عند التكلم عن عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان « . . أن من شأن العاقل الولوع بالمنظر الحسن من الناس ، وقد يعد ذلك منه فى بعض الاحايين

تظرفا وفتوة ، وهذا الشأن أما أن يختص بالقوة الحيوانية وأما ان يختص بحسب الشركة ، لكنه لو كان مختصا بالقوة الحيوانية لما عده العقلاء تظرفا وفتوة، اذ من الحق ان الشهوات الحيوانية اذا تناولها الانسان تناولا حيوانيا فهو متعرض للنقيصة ومضر بالنفس النطقية ، ولاهو مما يختص بالنفس النطقية اذ مقتضيات شغلها هى الكليات العقلية الابدية لا الجزئية الحسية الفاسدة ، فان ذلك بحسب الشركة . وبيان ذلك بوجه آخر ان الانسان اذا أحب الصورة المستحسنة لاجل لذة حيوانية فهو مستحق اللوم بل الملامات والاثم مثل الفرقة الزانية المتلوطة وبالجملة الامة الفاسقة ، ومهما أحب الصورة المليحة باعتبار عقلى على ما أوضحناه ، عد ذلك وسيلة الى الرفعة والزيادة فى الخيرية لولوعه بما هو أقرب فى التأثير من المؤثر الاول والمعشوق المحض وأشبه بالامور العالية الشريفة ، وذلك مما يؤهله لان يكون ظريفا وفتى لطيفا ، ولذلك لايكاد أهل الفطنة من الظرفاء والحكماء ممن لايسلك طريقة المتعشقين يوجد خاليا عن شغل قلبه بصورة حسنة

انسانية ، وذلك ان الانسان مع مافيه من زيادة فضيلة الانسانية اذا وجد فائزا بفضيلة اعتدال الصورة التى هي مستفادة من تقويم الطبيعة واعتدالها وظهور أثر الهى فيها جدا استحق لان ينتحل من ثمرة الفؤاد مخزونها ومن صفى صفاء الوداد أطيبه ومكنونه — ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم (اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه) نصا منه أن حسن الصورة لايوجد الا عند جودة التركيب الطبيعى وأن جودة الاعتدال والتركيب مما يفيد طيبا فى الشمائل وعذوبة فى السجايا ، وقد يوجد أيضا واحد من الناس قبيح الصورة حسن الشمائل وذلك لايخلو من عذرين أما ان يكون قبح الصورة لم يحصل بحصول قبح الاعتدال فى أول التركيب داخلا ، بل بفساد عارضا خارجا ، وأما ان يكون حسن الشمائل لابحسب الطباع بل بحسب الاعتياد ، وكذلك قد يوجد حسن الصورة قبيح الشمائل ، وذلك أيضا لايخلو من عذرين ، أما أن يكون قبح الشمائل عارضا بعوارض فى الطباع بعد استحكام التركيب او يكون ذلك لاعتياد قوى . وعشق

الصورة الحسنه قد تتبعه أمور ثلاثة (أحـــدها) حب معانقتها (والثانى)حب تقبيلها(والثالث) حب مباضعتها .فاما حب المباضعة فما يتعين عنده ان هذا العشق ليس الا خاصا بالنفس الحيوانية وان حصتها فيه زائدة وانها على مقام الشريك بل المستخدم لا على مقام الآلة ، وذلك قبيح جدا يخلص العشق النطق مالم تنقمع الحيوانيه غاية الانقماع، ولذلك بالحرى أن يتهم العاشق اذا راود معشوقه بهذه الحاجة اللهم الا أن تكون هذه الحاجة منه بضرب نطق أعنى انه قصد به توليد المثل وذلك فى الذكر محال وفى الانثى المحرمة بالشرع قبيح بل لاينساغ ولا يستحسن الا لرجل فى امرأته .وأما المعانقة والتقبيل فاذا كان الغرض فيهما هو التقارب والاتحاد ، وذلك لان النفس تود أن تنال معشوقها بحسها اللمسى ونيلها له بحسها البصرى فتشتاق الى معانقته وتنزع الى ان يختلط نسيم مبدأ فاعلية نفسانية وهو القلب بنسيم مثلها فى المعشوق ، فتشتاق الى تقبيله ، فليسا بمنكرين فى ذاتهما لكن استتباعهما بالغرض أموراً شهوانية فاحشة توجب التوقى عنهما الا اذا تيقن من

متوليهما خمود الشهوة والبراءة عن التهمة ، ولذلك لم يستنكر تقبيل الاولاد وان كان مبدأه مزعجا لتلك اذ كان الغرض فيه التدانى والاتحاد لا الهم بالفحش والفساد ، فمن عشق هذا الضرب من العشق فهو فتى ظريف ، وهذا العشق تظرف ومروءة . . » ! !

* اذن يجب ان نبحث عن الفرق بين لذة الجسم ولذة الروح وعن الفرق بين الرذيلة التى هى تضحيه الفضيلة للذة الجسمية وبين الفضيلة التى هى ضبط للميول الجامحة وتضحية بلذة حاضرة دنيئة للذة مستقبلة شريفة رقيقة ، فنصل الى حب الصور الجميلة والى لذتها الروحية التى أبرز لنا فيلسوفنا ابن سينا صورة بديعة لها ، وبذا نفهم قيمة حب الجمال الحسى ، لكننا نحتاج قبل ذلك الى ان نعرف ان بنا رغبة تقوى وتضعف واننا أحرار فى قوتها وضعفها ، اذا فهمنا سبب أعمالنا ، فنجد ان بنا نشاطا حراً مدفوعا — هو الرغبة — يحرف العاطفة فيحييها ، فالرغبة اذن تجذب لنا الاعمال والحركات ، فنلقى الحركات غير واقفة ومندفعة ، مضطرون نحن الى اندفاعها ،

لفقد ان الرغبة اذ ذاك ! ! . .

فانت أيها القارىء الكريم لست حراً فى رغبتك مثل ما أنت حر فى شعورك وفى تصميمك على عمل ما ، لكنك تستطيع فى مبدأ الرغبة ان تبعدها أو تقربها ، تنميها أو توقفها وبذا كان الشبان الذين أرسلوا الى ينقمون على الجمال خاطئين فى القائهم آثامهم على الرغبات والنزعات لان الرغبة وان كانت قاسية ، غير أن قوة الرغبة تجعلنا أحرارا فيها ، وبذا نحن أحرار فى شهوتنا ، بمعنى ان شهواتنا تتملكنا حينما نريد ، وانا نملك شهواتنا حينما نبغى فنحن ملك أنفسنا مادامت رغبتنا ملكنا ومادمنا مسيطرين على شهواتنا ! ! . .

* الفحش فى ذاته قبيح ، وقبحه أقذر فى التصميم على عمله لذا قررت جميع المحاكم ان الجريمة فى العزم والاصرار ، وبقدر شناعة العزم والاصرار فى الجرائم يكون عقابها ، بانية أحكامها على مقدار الحرية التى للمجرم وعلى قدر الرغبة والعاطفة . . اذن فقبل الجريمة الخلقية ، أصرار ، وللمجرم حرية تمكنه من لاقلاع عن أصراره والتدبير فى حريته ، اذاما فكر فى النفع

الذى تجره جريمته له ؛ فيلفيه معدوما بالنسبة الى الضرر اللاحق بروحه وجسمه وخلقه . ولكى يصل شبابنا لهذه المعرفة تعوزهم بجارب الحياة ؛ الشعور بالعظمة النفسية ؛ الخروج عن الضعف النفسى ؛ احياء الضمير بوازعات دينية واحترام الانسانية باحترام الجمال فيها والحرية والقوانين الخلقية. وبهذا ، وبهذا فقط يستطيعون فهم الجمال والاخلاق ؛ ويفرقون بين لذات حسية تتغير بتغير الفكرة ، وبين لذات القلب الدائمة ، فيعرفوا ان الواجبات والحقوق اخوان أمهما الحرية ولدا فى يوم واحد وتطورا معا ، فيساووا بينهما ، ويفهموا أنهم وان كانوا يختلفون عن الروحانيين فى العالم ، فى الجسم والحس والخيال والقلب والعاطفة ، ولكنهم مثلهم فى الحرية وان الرغبة التى هي سياج الحرية ، واحدة فينا تملك ميولا مختلفة من روحيه ومادية . . ولذا يسهل عليهم أن يفهموا لذة الجمال الروحية الشريفة ، ويؤثروها على تلك اللذة الدنيئة الجسمية ! !

* على أنا نلاحظ أن القليل يفهم أو يستطيع الوصول الى

خيـال الجمال المطلق أو كما يسمونه المثـل الاعلى فى الجمال ، حتى يبدو الرجـل الفنى مدرك الجمال ، مدرب حواسه على معرفته ، يبدو رجل هذا شأنه ، حالما غير يقظ ، وبذا نرى الفنى لايستطيع تميـيز الجمال المعنوى وتفرقته للجمال الحسى عن أغراضه الشخصيـة . . . انما يستطيـع ذلك ذو الشعور الحى والعاطفة السليمة ! ولامرما أبان ارسطو الفرق (١) بين الصالح والنافع وأفاض فى التفرقة بين الاعجاب بجمال الجميل وتلك الرغبات الناشئة عن الحواس بشهوة امتـلاكه ، وان ليست الرغبة فى العاطفة ضرورية لتقدير الشيء الجميل، الأن الجمال لايستقر الا حيث الماديات ؟ أم لأن فى هذه الافكار الظاهره التى تعكس المادة منها شعاعا قويا ، يجب أن لانرى بظاهرها بل بما تحويه داخلها ؟ . . .

لذا نتساءل عن وجـود جمال الافراد وعن التفرقة بين النظرة البريئة الى هذا الجمال ، نظرة الروح العاليـة ، وبين

The Philosophy of the beautiful by william Knight

النظرة الآثمة التى لاتعرف للجمال حقه بل تنظر اليه بمنظار الشهوة الدنيئة ، وللجواب عن ذلك نفرق بين الشعورين وبين العاطفتين ، فترى ابن الاثم ، ابن الخنا ، ابن الفجور ينظر للجمال أو لما يراه جمالا بسرور هو سرور يقظة شهوته وهذا السرور لم يصل الى القلب حتى يترك لصاحبه مجال التفكير بل وصل من عينه الى ما بين فخذيه فحرك مكامن الشهوة فيه ، أما طالب الجمال ، صاحب النظرة الصادقة له تلك النظرة الناشئة عن معرفته ، فيشعر من رؤيته الجمال بمرح داخلى يصل مابين الجميل وقلبه ، فان ترى فى نظرته غيا ! ! . . .

واذا تلاحظت العيون تفاوضت

وتحدثت عما تجن قلوبها

بالسر والافواه صامتة فما

يخفى عليك صحيحها ومريبها ! !

لواعج الحب : نرى الجميل ، جميل الجسم أو الروح أو المدارك أو الاخلاق ، فنشعر بشعور ، لانعرف كنهه يثير

فينا مانسميه حباً فتتأثر أجسامنا بتأثرات عدة ، تميل الرأس جانباً ، يقفل الجفنان أكثر من العادة ، تتحرك العينان بلطف تجاه الشيء الجميل ، يفتح الفم قليلا ، يخرج النفس بطيئا بزفرات عاليات متقطعات ، يضعف الجسم وتسقط الايدى الى الجوانب ذوبان داخلى قلبى هو نار مشتعلة بين الضلوع ، يخفق القلب كل هذه يثيرها الشيء الجميل وهى نسبية بنسبة قوة جمال الشيء وبنسبة الحساسية فى المشاهد ! ! . . (١)

---

(١) من علامات الحب اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه طرفه نحو الارض لعظمته فى صدره ومنها اضطرابه عند رؤية من يشبهه أو عند سماع اسمه ومنها استلذاذ الكلام فى اخباره وحب أهله ومن يتصلون به ومنها كثرة غيرته عليه ومنها التعمد للقعود بقربه والدنو منه والتعمد للمس اليد عند المحادثة ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب من كلام وغرض الانقياد لجميع مايختاره من خير وشر ومنها العض على الشفة السفلى لأظهار المحاسن (راجع ديوان الصبابة لأبى حجلة المغربى ص ١٤ ـ ١٦)

الواجب يؤثر فى العقول والعقول تؤثر فى النفوس ، وكل من العقول والنفوس يؤثر فيها الحب ، فأنا أندفع لواجبى بعاملين عامل النفس وعامل العقل ، يمتزجان فيكونان حب الواجب ، وأؤدى الصلاة لانها التعبد للعلة الاولى وللمعبود الاعظم الأعلى ولأنى متؤثر بحبين حب الله وحب الدين ، متؤثر بحب الله وآثار نعمته تملأ نفسى وتفيض على فكرى ، ومتؤثر بحب الدين وهو كما قال ابن سينا تصفية النفس الانسانية عن الكدورات الشيطانية والهواجس البشرية والاعراض عن الاغراض الدنيوية الدنية ، فأنا كذلك متؤثر بحب الفضيلة .

أحب الصديق الصدوق متؤثراً بجمال ذى مناحى مختلفة ، وأنا أعلم ان الحب قاس ، وان له فروضاً وواجبات ، ولكني لا زال أحب ، ولا أزال ألتذ بتلك الفروض وهذى الواجبات بما فيها من قيود للحرية الانسانية ! !

الوردة زهرة الحب ، شوكها علامة مايتحمله المحبون فى سبيل الحب . . الحب لايريد دوما أن يسر بل أن يؤلم .

الحب حياة والحياة مرة وحلوة ، فكما أن شوك الوردة يوصلنا لها ولا نستطيع قطفها بدون التعرض لاذى شوكها كذلك الرغبة فى آلام الحب هي مبدأ الحب ! ! .

الحب ليس سعادة ، وكذب من قال انه سعادة مجردة ، الحب هو الحياة بكل أعماقها وبكل مافيها ، فيجب اذن ان يكون للحب صور الحياة وما سيها ، وأن نتحمل قسوة الحب كما نتحمل قسوة الحياة ، ونسر بقسوة الحب ، كما نسر بقسوة الحياة وأن نطلب المزيد من الحب كما نطلب المزيد من الحياة ، لأن القسوة سبيل الحب ولأن الزيادة منميته ... فلنحب . . ولنكن محبين ذوى قرب ان استطعنا أن نصل الى المحبوب بقرب ، ولنكن محبين ذوى بعد ان أبى المحبوب الا بعدا ، فسيمضى السحر يوماً فيذوب المحبوب فى دموع الاسى لأنه سيذكرنا وسيذكر أنه محتاج الينا ، لأن الحب يخدم وسيحرقه خجله ، فنصل الى أعماق قلب محبوبنا ، فيحبنا هو أكثر من حبنا ، وبذا نصل الى كمال الانسانية فى الحب المتبادل الذى قادتنا اليه القسوة فى الحب ! !

يجب أن يكون الحب قاسياً ، واذا أردت حباً متملقاً مبتسما ، فذاك حب غير مخلص ، لان الوردة اذا كانت حقيقية طبيعية لاصناعيـة ، وجب أن يكون لها أشواك ، وكذلك الحب الشافى يجب أن يؤلمك !! ..

مجاعة الخبز تؤلم ولـكن مجاعة الجمال والحب والفضيلة أكثر ايلاما ، لأن المجاعة المادية مجاعة جسمية ، أما مجاعة الروح فلن نستطيع معها صبراً ! ...

قال الفارابي « المعشوق منا هو الفضيلة والجمال وليس العاشق منا هو الجمال والفضيلة »

فرق كبير بين الاعجاب والحب فسبب الاعجاب روعة العظيم ، والحب فى الاشياء الصغـيرة السارة ، ولذا نخضع لما نعجب به ولـكنا نحب الذى يخضـع لنا ، ففى الاعجاب نحن مضطرون مسيرون وفى الحب نحن مخيرون .

كل صغير جميل ، فاذا مافقد حداثته وجدته ، فقد روعته وأضحى قديما ، لذا كان الحب القائم على جمال النفوس مستمراً لأن النفس لاتشيب والمعانى الجميلة لايتطرق اليها الـكبر ،

فهى حديثة لاتزال ولن تزال . فيجب عليك اذا كنت عظيما أن تكون متواضعاً وان تخفى معالم عظمتك لتبدو حديثاً صغيراً ، فلا تحتقر الناس لئلا ينتقموا منك انتقاما فظيعاً ، قال أناتول فرانس « يعطى القلب ذكاء ، لكن الذكاء لايعطى قلباً » وأقسى الحب ما كان للعظماء لأن المحب يرنو اليهم ولايستطيع منهم دنواً وقرباً وعند ما يفكر العظيم فيمن يحبونه يبدو له أنه ملاك ، لكنه لايستطيع اظهار عطفه على كثيرين منهم من أصحاب الارواح الباردة التى تفكر دائما فى الحزن والفشل والتشاؤم وهو لايريد ألا التفكير فى السرور والنجاح والتفاؤل فيغالب نفسه ليقاوم هذا التيار البارد الذى يحوط الناس ويسر العظماء الابتعاد عنه كما يبتعدون عن حجرة باردة — كما قال جورج اليوت — ولكن العظيم لايستطيع الابتعاد عن الناس لانه يشفق عليهم ويرثى لهم لأنهم محتاجون اليه .. لذا هو يقبل عليهم ويجاهد نفسه على حبهم .. ليخدمهم وليصلح نفوسهم .. فيا أيتها النفس العظيمة نشكر لك هذا الجهاد فى الحياة وأنه لجهاد عظيم . . . وغضب

الغبى نار موقدة تتصل بحب الناس للعظيم وخشيته وبالاعجاب به وعدم الرغبة فى حبه الا اذا أبعد نفسه عن ايلامهم ، بأن يخلص أرواحهم من قيودها بمجهوده . . . فياشيوخ السن حدثونا عن الحب فليس للقلب — كما قال فنلون تجعدات !.. حدثونا عن الحب .. حدثونا عن لواعجه ، حدثونا عن زفرات الصدور ، حدثونا عن أنات النفوس فلقد عشقنا العظمة والجمال ... لكن لا ... وان قلبى الفتي ليستطيع أن يصل الى أسرار الحب !! .

اسرار الحب الروحى : حب الحياة ، وحب أن تكون سارة ، يجعلنا نفكر فى الحب وفى أن نحب ، وهذا الحب أعظم القوى الحماسية للروح . . وكما تضمحل القوات يضمحل الحب ويذبل حينما يظهر الطمع جانبه ، ويحترق حينما يبدو حبا كاذبا وعند مايتسرب الشك الى الثقة ، ويولى حينما تضعف التجارب البهيمية الأمل !!

* كل حب قائم على النشوة الروحية ! . . . نريد أفكار جميلة .. نريد مناظر جميلة . . نريد صورا جميلة . . نريد

أصوات جميلة . . نريد ذكريات جميلة . . نريد آمالا جميلة . .
نريد وفاء جميلا . . نريد معانى جميلة . . نريد قلبا يبكى حينما
يدعوه البكاء ويبتسم حينما تدعوه الا بتسامة ! .
وأنا لنطالب الدين ،الفن ، الحب،الصداقة ،الالعاب ،المرح،
السرور- نطالب هذه جميعاأن ترفعنامن أنفسناوبقدراهتمامها
برفعنا يكون قدر حبنا ! ! . . .

الحب هو الغفران والصفح ،الحب نهر جارلا تدنسه
القاذورات الملقاة فيه ، لانه يطهر نفسه بنفسه !! . .

كل اساءاتك تغتفر ياصديق مادمت لاتزال تحبنى
ومادامت الاساءات ليست موجهة للحب نفسه ! ؟ . .

افعل مابدا لك،مادام الحب يغلى فينامعا ،فكل اساءاتك
لاشىء ! ! ! قد تضطرنى الى تركك ! ! . .

قد تمر معرضا ناسيا عهد الاخاء ! ! . .

قد تجرحنى جرحا نفسيا أليما ! !

لكن لاتسألنى صفحا ، مادمنا متحابين ! !

يؤلمنى منك خيانة ثقة مثل هذه ، ولكنهامأساة الحياة ! !

الحب يرفع الروح ! ! . . .

المأساة تمثل اذا سقط الحب ! ! . . .

الحب أكبر خطر ، مرقاة الظلام ، قد تعثر قدمك فيه بقنطرة السلام ، أو قد تهوى الى الهوة ، . لكنه خير من أن لا تحب ! ! . . قال شلى « تسألنى عن الحب ، سل الذى يعيش ما الحياة ؟ ! . . . »

* تسر اذا عرفت كم أنت محبوب ، لكن الحب ليس هو الاعمى بل أنت ! ! . . عند ما تمر على اخوانك ، تخطر ببالك آلاف خطرة من خطرات الحب ، لكنها تسقط كلها كليلة من جراء اعتقادك السخيف لان معظم خطرات الحب تنمو فى الظلام ! ! .

فالحب يظهر من كلمة أو عمل ، باشارة ، بابتسامة أو بلحظ عين . . . فيحب صاحبنا أن يلقى سهامه من الثقوب الضيقة للقلب المظلم ، أفليس من العجيب أنه كلما حيت الروح وكانت فياضة بالعاطفة كلما حصنت نفسها ضد العاطفة ! ! .

الا أنا لو عرفنا الصحائف الداخلة المكتوبة لجميع

القلوب ، لسعدت الدنيا بالجمال والرقة والحب ! . . . ولو ان كل الافكار الامينة المخلصة للحب تقال أو تغنى لعزفت الموسيقى الملائكية فى هذا العالم ! . .

أيها الاخوان ! الحب هو الموسيقى التى تسمعها الملائكة والتى تسمعها أرواح آبائنا ، فتطرب لحبنا ! ! .

مثل الانسانية الاعلى أن تحب الجميع ، تخلص للجميع ، تعطف على الجميع . والحب تعوزه العناية ، فاظهر حبك . . الروح عميقة فاسبر غورها ، اعرف نفسك المجرمة وطهرها واشفق على الآخرين ! . .

* شك الحب معناه الجحيم ، فلماذا اتشك كثيرا وتظنها كارثة أن تخدع ، الا أن من سهل اعتقاده سهل ضربه ، لكن من لم يعتقد سهل افتراسه ! ! !

اعتزل الى نفسك ، لا لتترك الناس ، بل لتعرفها

تعرف بنفسك ، اسكن الى ضميرك فى خلوة ، كن ارستقراطيا حقيقيا بأن تكون نظيف الجسم والرأى والمبدأ يجب أن تتخذ من الحياة مثلا عاليا للحب فى الحب ، فاذا

أقبلت على شخص وأعرض عنك ودرست سبب أعراضه ووجدته كراهية لك ، فيجب أن تبعد عنه لترفع عن نفسك صغر الروح !! . . .

الحب ليس الحب الذى يجب أن يدفع ! ! . .

الحب ليس الحب الذى يستجدى ! ! . .

الحب ليس الحب الذى يقهر ! . .

الا ان خير الودود تطوعت به النفس لا ودأنى وهو متعب

الحب الحقيقى يرغب أن يعطى فقط ، والمأساة الوحيدة للحب هى أنه لا يستطيع أن يعطى كفاية .

* قد تحبك نفوس حقيرة مثل ما تحب اللحم الحلو ، كل همهم من حبك اغتنام اللذة التى يحصلون عليها منك ، فاسوأ الحب أن تحب كثيراً ، وشر سوء العقيدة هو عدم الثقة بالعقيدة — اخلاصى لو كان حقيقيا يظهر جليا حينما تكون أنت غير مخلص وبذا أدفعك من اخلاصى على الاخلاص ، وأدخلك بأمانتى فى الامانة ، لكن كن واثقا بحبى ، واثقا باخلاصى ، واثقا ببعد حبى عن كل دنس مادى ، واثقا من

قرب حبي من كل لذة روحية فعدم الثقة يفسد الحب ،دخول المادة بين الارواح يفسدها ، لكن كرم خلقك يبارك روحك ولو أنه يؤلم قلبك — فيجب أن نتبع المثل الاعلى للروح فى أن نكون وراء الجبن الاعلى فى الحب، وأن نخجل من أن نكون كرماء أسوء من خجلنا من أن نكون سفهاء . . كن صادقا فى الحب ، يطهرك الحب من رجسك ويسمو بقلبك وبنفسك .

الحب الفاسد والحب الشريف : لفظة الحب فى مصر دنسة بدرجة ان قائلها مجرم وأن المقولة له أشد اجراما ان قبلها أو أجاب بمثلها ، ويرجع ذلك الى سوء الاخلاق لدينا وسوء الظن عندنا — ذهبت مرة لزيارة صديق لى يسكن مع احدى الاسرات القديمة فوجدت رب الاسرة يعنف ابنته التلميذة لقولها أنها تحب صديقتها جارتهم ، فعجبت وسألت الرجل عن وجه العيب فى ذلك ، فأجاب ليس العيب فى مصادقتها للفتاة انما العيب فى استعمالها كلمة « الحب » ومعناه فى مصر « الفسق »!!

ربما كان لذوى الريبة والشك بعض العذر اذا جهلوا جمال الحب الشريف (١) وتقويمه للنفوس لانهم يعيشون فى بيئة قذرة مدنسة ، تجلبهم الى الاعتقاد بأن الحب ليس الا تعاقداً على (الاثم) ! . وبذا دنسوا الحب لفظا ومعنى . ولكننا يجب أن نخرج من دائرتهم الضيقة القذرة ، الى افهامهم ان لفظ الحب ومعناه شريفان غير آثمين . انما اثمها فى تسميتنا وفى استعمال الآثمين لهما كسبيل لدنىء أغراضهم ولكن ماذنب الحب المسكين يدنسه الفاجرون ، وماذنب القلوب الفتية تحب حباً طاهرا لتحيا . وتحقق بالحب الشريف لتشعر بالحياة !

معنى الشباب كما أرى — الحياة ومن دواعى الحياة

---

(١) يقول بوسنياس ان الحب لايمكن أن يعتبر بذاته شريفا أو غير شريف ، فان كانت طريقه شريفة فهو شريف ، وان كانت الطريق غير شريفة كان الحب كذلك (راجع ص ٢٢٣ ـ ٢٦٠ مائدة افلاطون للاستاذ الكبير محمد لطفى جمعه بك المحامى)

ضربات القلوب ، فكما انه اذا وقفت دقات القلوب تموت كذلك اذا لم تخفق قلوبنا بحب لا نشعر بالحياة، فالحب الشريف ضرورى لحياتنا بل هو حياة حياتنا، انما يعوزنا تنظيم للكلمات وفهم صادق للمعانى وتحديد للألفاظ . فالحب فى عرفى تجاذب بين الارواح والقلوب ، لاتغيره أعاصير الزمان ولاتدنسه ألفاظ أو أعمال النجاسة والكفران ، فاذا حددنا الالفاظ والمعانى ، فهمنا حقيقة لفظة الحب وشريف معناها

دلتنى تجاربى على أن كل شاب يجب ان يكون محباً ومحبوباً فاذا فهمنا هذه الحقيقة ، سهل علينا فهم اندفاع الشبان فى تزقهم بمجرد ظهور لفظة الحب الموشاة أمامهم الممزوجة بخداع الذين عرفوا نزعات الشبان فاستغلوها لأغراضهم الدنيئة وبذا نجد لفظة الحب المشوشة التى لم يفهموها أو يحاولوا أن يفهموها ، حنت عليهم كما جنى عليهم من قبل سوء فهم لفظة الجمال فاضحوا لايفرقون بين « جمال قشرة » وجمال حقيقى وبين حب فاسد لفظة الفسق موضوعة له ، وبين حب شريف روحى ، فنحب أن ينجو شبابنا من الخلط بين حب فاسد

زائف قاتل وبين حب شريف حقيقي محي أو بالاحرى بين السم فى الدسم وبين الدواء الحلو الشافى ، وبذا نقضى على لفظة الحب فى الاثم فنبقى على الحب فى الجمال والفضيلة والسعادة والهناءة ، وبذا يعرف الشبان الفرق الظاهر بين عاطفة تترجرج بين الفخذين وبين الاخرى التريفة الموصلة بمغناطيس الروح لقلبين .. اذن فلا حب ياعزيزى القارىء الا فى الطهر لانك لن تحب حبا صادقا ثم تدنس من تحب ، فينقلب حب الرياء بغضا ، كما اني لا أصدق انك تعرف الجمال ثم تنتزعه ممن تحب وتقضى عليه بأثمك ... واذا أردت مثالا لقصر مدة الحب الفاسد فاسأل الفسقة يجيبوك انه لا يستمر طويلا بعد الوقوع فى « الشرك » واذا أردت خير مثال للحب الشريف فابحث بين أصدقائك فان وجدت صديقا وفيا لك يشعرك بالوفاء له ، فذاك هو الحب الطاهر الشريف الذى تبحثون عنه ثم تنكرونه ! !

الصراقة الصارقة هل هى حب ؟ ليس فى العالم غير قوة الحب تفعل فى الارواح القوية فعل المزج والخلط والتركيب

فتؤالف بينها وتجعل هذا التمازج حباً روحياً وصداقة، وتصوغ من الوفاء حباً خالصاً يجعل الصديق بعين صديقه ينظر وبأذنه يسمع وعن فكره ينطق ومنه يستملى ، أن هجم بخيال صديقه يحلم وأن انتبه به لاذ .

تقابل شخصاً مالا تعرفه ولا يعرفك . . . فتحله حبة القلب من قلبك ، ويجرى مجرى الدم فى عروقك ، ثم لا يلبث أن تتعارفا ، فتعرف أن شعورك كان شعوره .. ثم يخلص كل منكما الثقة للآخر ويصفى له المودة ... اذن أول ظاهرة من ظواهر الصداقة الصادقة هو هذا الشعور المتبادل من اللحظة الأولى ، تنميه المودة المتوالية ، وأن يجعل كل منكما لصديقه أعلى المراتب من قلبه وأجزل الحظوظ من وده ، وأن يصدقه عن نفسه ليكون على نور من أمره ، وأن يظهر حبه دوما فى قوله وفعله ، فيزداد الحب ويستجد الود ويصبح الصديق أدب فى ضمير صديقه من خواطره ، وأعلق بعينيه من نواظره ، ويصبح كل منهما روح أخيه ، فلا يستغنى البعض عن بعضه !! ..

ونحن حينما نصادق ، لانصادق صورا ، بل نصادق قبل كل شيء نفوسا وقلوبا ، فأذا توفرت هذه فى شخص فلن نعبأ بعد ذلك بجمال صورته لانا عوضنا عنها معنى آخر جميلا لايقل عنها روعة بل يزيد فى اشعاع سحره ، وذلك هو معنى الحب والوفاء . . . وأن وجد بعد ذلك جمال الصورة فلا ضير ، لأنه زيادة لمعانى الكمال ! .

فأذا أردت أن تصادق أحداً فلا تقل له هذا وجهى انظر اليه بل قل : هذه نفسى وهذه أخلاقى وهذا قلبى وهذا اخلاصى ! ! ...

* الصداقة الصادقة (١) اذن حب مبنى على دعامة قوية

---

(١) قال على ابن ابى طالب « شر الاخوان من يكلف له وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به ، وأهدت لك رؤيته ثقة به وأهدت اليك غيبته طمأنينة اليه » ، وسئل العبادانى من الصديق ؟ قال « من شهد طرفه لك عن ضميره بالوفاء والود ، فأن العين أنطق من اللسان وأوقد من النيران » . وقال بن هبيرة « أعوذ بالله من صحبة من غايته خاصة نفسه ، والانحطاط فى هوى مستسيره ، ونعوذ بالله ممن لايلتمس خالص مودتنا ألا بالتأنى لمواقع شهواتنا » .

من صلات القلوب ومناجاة الارواح ولذلك قال المصطفى عليه الصلاة والسلام « اذا أحببت شخصا ، فاعلمه بحبك ، فان القلوب تتجارى » . والحب أن لايخطر ببال صديقه فى وقت من الاوقات ألا مثل الذكر منه ألى محاسن تزيد الصديق صبابة ألى صديقه ، والمحب شوقا ألى حبيبه ، ضنا به ـ والضن به ، المحافظة على شرفه ـ واغتباطا بحبه ومن الاغتباط بحبه نصحه ، بأن يكون دالاله على عيوبه ، نافيها عنه ، واعظا له بالحسنى ، متعظا بها منه ، زاجرا له عن السيئة ، منزجرا عنها له ـ كما قال سقراط فافهم أيها الشاب معنى الصداقة على حقيقتها واذكر دائما عند ذكرها قول السيد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ليشوع تلميذه « أما الرب فينبغى أن تحبه بكل قلبك ، ثم تحب قريبك كما تحب نفسك » وجوابه حين قيل له بين لنا مابين هاتين المحبتين حتى نستعدلهما بتبصرة وبيان ؟ فقال : ان الصديق تحبه لنفسك والنفس تحبها لربك فأذا صنت صديقك فلنفسك تصون ، واذا جدت بنفسك فلربك تجود » ! ! . . . .

حب الله : يقول الغزالى ان جملة عالم الملكوت والملك اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لانها محيطة بكل الموجودات « اذ ليس فى الوجود شىء سوى الله تعالى ، وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله »

فاذا انكشف للانسان الافاعل الا الله تعالى ، عرف أن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر مما ينطلق عليه اسم ،فالمنفرد ، بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لاشريك له فيه ، واذا انكشف لك هذا ، لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وماسواه مسخرون لاستقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض ،واذا عرفت هذا كنت القوى أخلاقا الجميل روحا السعيد حياة ، ولذا كانت أقوى مراتب التوحيد فى الفناء فى التوحيد بان لايرى فى الوجود الا واحدا فلا يرى حتى نفسه ، ومن فهم هذا عرف أن لامحبوب غير الله ، لان المحبوب الاول عند كل حى نفسه وذاته ، ومعنى حبه لنفسه

أن فى طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة من عدمه وهلاكه، وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب، فاذا المحبوب الأول للأنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه، والانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها، ومن عرف نفسه وعرف ربه، عرف قطعا أنه لاوجود له من ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله وبالله.

وثانى أسباب الحب هو الاحسان، وهذا يرجع الى السبب الأول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيأ الوجود، وهو لايحب لذاته بل لاحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو

---

(١) راجع صفوة احياء الغزالى لمحمود على قراءة من ص ٤٥ ـ ٢٨٠

نقص نقص الحب ولو زاد زاد ، ولو عرف الانسان حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط ، وأن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز اذ سخرهم لك ، وأنعم عليك احسانا اليك ولا جلك لا لحظ وغرض يرجع اليه تعالى فانه يتعالى عن الاغراض ، وهو المحسن للكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق بايجادهم وتكميلهم وترفيههم وتنعيمهم ، فالحب لهذه العلة لغيره أيضا جهل محض .

وثالث أسباب الحب أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذى يوثق بدوامه ، فان ثبت أن الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله جميل يحب الجمال » ، والحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ، بل حسن كل شيء وجماله أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فان حضرت جميعها فهو في غاية الجمال ، واذا نظرنا لكل جمال شكلي وجدنا أن الله خالقه فلا بد أن يكون أجمل منه ، واذا

ذكرنا جمال الصور الباطنة كالعلم فتجد أن معلومات الله لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية، وكذلك القدرة إذ غاية الانسان أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس فى بعض الامور، وهو مع ذلك ،لايملك لنفسه موتا ولاحياة ولانشورا ولاضرا ولانفعا، فضلا عما لاتتعلق به قدرته من ملكوت السموات والأرض، فلا قدرة له على ذرة فيها وماهو قادر من نفسه فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك، ولا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق، فالجميل المطلق هو الله.

وخامس أسباب الحب(اذا رابعها هو لذة جمال المعانى والصور)هو المناسبة الخفية (تناسب الارواح) بين المحب والمحبوب، والتعارف والتناسب يقتضى أيضا حب الله تعالى لمناسبة باطنة لاترجع الى المشابهة فى الصور والاشكال بل الى معان باطنة، هى قرب العبد من ربه عزوجل فى الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية وذلك فى

اكتساب محامد الصفات ، وهذا هو أعظم اسباب الحب وأقواها .

* ولاريب أنا نرى جميعا أن الكون كله مظاهر صفات النفس ، وان حجبت برؤيته عن رؤية صفاتها فيه ، حتى تتصف بصفات البارى تعالى ، فاذا اتصفت بها كانت صفاتها مظاهر صفاته فيها ، فزال الحجاب ، فترى مظاهر صفاتها فيه مظاهر صفات الخالق التى كانت محجوبة . وان كل المخلوقات بأسرها مظاهر صفات الله وطريق الى القرب منه وزيادة معرفته ، وبذا كانت الصور الجميلة الآدمية ، موصلة إلى معرفة معانيها ، وما معانيها الا ادراك قدرة الله تعالى وعظيم شأنه وجليل جماله . فاذا ناجى المخلوق صورة آدمية جميلة ، فهو لا يناجيها هى بالذات وأنما يناجى خالقها البادى جماله ومظاهر قوته فى معانيها . لذلك ترى الصوفيين كابن الفارض ومن نحا نحوه يذكرون عشقا انسانيا ثم يخرجون منه الى ذكر خالق الانسانية ، بل قد يذكرون غزلا انسانيا محضا بتغزل فى الصور الجميلة التى خلقها من صور فتيات

وفتيان ويريدون به ماهو أسمى من الانسانية ،ذلك لان عشق الصور الجميلة الانسانية ، موصل اذا خلا من الدنس الجسمانى الى السمو الروحى والسمو الروحى يدعو الى القرب من الله تعالى فلا غرو ان يبدأ الواحد منهم قصيدته بذكر سمرة الشفة ، ثم يثنى بسهم اللحاظ وذكر العذار ، لان فى كل هذا معانى الجمال الحسى وكما أننا اذا أردنا مديح فنان مدحنا فنه وأثنينا على صنعه ، فيأتى مدحه ضمنا ، فكذلك الحال بالنسبة إلى الخالق العظيم ، لأن العالم كله وما حوى من جمال ليس الا قطعا فنية مختلفة توحى الينا عظمة الله وجلاله ، كما توحى القطعة الفنية الينا شعورا بسمو الفنان !!

* ما هو موضوع الفن ، أليس هو الحقيقه الضاربة مباشرة على أوتار قلوبنا ، والمحركة لحواسنا وشعورنا ، لنفهم الجمال فى المجتمع وفى أنفسنا ؟ وانى لموقن يقين برجسون فى أن الفن سيصبح غير نافع أو أننا سنصبح جميعا فنيين ، لان ارواحنا آخذة فى فهم الطبيعة ، فأعيننا نصيرة ذاكرتنا اذ نرى الصورة الجميلة ، فتنطبع فى مخيلتنا ، وتوحى الينا معانى

جميلة نخرجها على القرطاس تارة شعرا وشعورا ، وتارة نقشا وتصويرا ، وأخرى تحليلا لتلك المعاني ، فنغذى الارواح بذلك الجمال ، ونسمع غناء جميل الصوت لا بآذاننا بل من أعماق أرواحنا ، فتطربنا تلك الموسيقى بحلاوتها ، وتكون خير سلوى لنا وأجمل عزاء ! ! . .

كل هذا الجمال حولنا ، وكل هذا فى نفوسنا ، ولكن نأسف أن نقول إننا لانفهم أنفسنا جيدا ، اذا لانفهم هذه المعانى واضحة ، وماذا نستطيع أن نقول فى الصلة بيننا وبين الطبيعة ؟ وهناك قناع كثيف بين عامة الناس وبين ضمائرهم ، يشف ويخف عند الشاعر والفنان ، بالحب وفهم الجمال . ولم لايتذوق الناس جميعاً الجمال مادام جميعا يقرون له بسحر عظيم عليهم ؟ ولماذا لايدركون معانى الصور الآدمية الجميلة ؟ ليس هناك من جواب غير أننا رأينا فلاحظنا ، وأصغينا فسمعنا ، ودرسنا فقرأنا معاني مادرسنا فى أعماق قلوبنا (١)

---

(١) راجع كتاب (الضحك) - بير - للفيلسوف الفرنسى برجسون

فكان مارأينا وما سمعنا من العالم الخارجى من أعمال حواسنا لانارة افئدتنا وتحسين أخلاقنا ، لانا عرفنا بذلك الدرس لذة الجمال الروحية بأنفسنا ، فكان درسنا للحياة عملياً ، فتأثرت حواسنا وضمائرنا بتلك الحقائق ، لأن حقائق الجمال تجل عن أن تدرس فى الكتب وموضعها القلوب ، أو تلقن على استاذ ، وملقنها التجارب ، أو تعرف ومعرفتها لايستطاع ادراكها الا بامتزاجها بالشعور ! ! ...

فاذا جرد الانسان نفسه من الحيز فلا ريب أنه يدنو من عديم الحيز تعالى ، لان النفس الناطقة جوهر إلهى قال فيه تعالى (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) وقال (وإذا سويته ونفخت فيه من روحى) وقال (قل الروح من أمر ربى) . فهنا تعظيم للنفس ، وإنا لنراها تقرب من ربها بقدر سموها. والى ذلك القرب أشار النبى الكريم محمد بقوله « انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » ، وإياها عنى على بقوله «ماقلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ملكوتيه وبنفس بنور ربها مرضية » ، واليها عنى أبو يزيد بقوله « انسلخت من

جسدى فرأيت من أنا » . (١)

واليها أشار الصوفيون بقولهم « الصوفى مع الله بلا مكان وحاله أنه كائن بائن »، واليها أشار المسيح عليه السلام لما قال « لايصعد الى السماء إلا من ينزل منها » ، ولها يقصد الله تعالى فى قوله فى حق المصطفى « دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » . فاذا كانت النفس فى هذه المنزلة من الشرف فان آثارها تزيد على معانى أجسادنا وبذا يستطيع الحكيم ـ مثل ما كان أفلاطون ـ أن يخلع بدنه ويتجرد عن الهيولى ، فيرى فى ذاته النور والبهاء ثم يرتقى الى العلة الالهية المحيطة بالكل فيصبح كالمتعلق بها ويرى النور العظيم . فليس بدعا أن يفنى العبد عند تجرده من أدناس المادة فى ربه ، بمعنى رجوعه اليه وتخليه عن حجب الروح ، فيرى اللذة كل اللذة فى مناجاة ربه وفى ادراك أسراره ، ويعمل للوصول اليها لينير

---

(١) راجع شرح زين الدين بن زين العابدين « المناوى » على القصيدة العينيه لابن سينا

باطنه ، ويقترب من ربه ، فتكشف عنه الحجب ويصبح ادراك تلك الاسرار ، ودرس مظاهر الكون ، غرضه الاسمى وبغيته القصوى . وهنا معنى ان يفنى العبد فى ربه وأن يكون ماثلا دوما فى ذهنه، ألا ترى إذا أقبلت على شخص بكليتك وهمتك أحس ذلك الشخص باقبالك وشعر به من غير اخباره بذلك ، وألا ترى أن هذا الاقبال اذا هيئت له ظروف مساعدة يصبح حبا متبادلا ، يؤدى الى أن تفنى فيه ويفنى فيك ، الى أن تفكر فيه ويفكر فيك ، الى أن تجتلى فيه صورتك ويجتلى فيك صورته ؟ اذن ، مع الفارق ، يستطيع العبد بسموه الروحى أن يصل الى درجة ادراك مظاهر الكون ، الى درجة عشق البحث عن حقيقتها وكنهها. وفى كل هذا معنى من معانى اقبال العبد على ربه . فاذا أقبل العبد على ربه ، كان من نتائج هذا الاقبال طاعته ، ومن نتائج هذه الطاعة توفيق العبد الى المزيد من لذته الروحية فى هذا الفناء .

* ولذا نجد ابن الفارض يقرر فى تائيته الكبرى أن

حسن كل مليح ومليحة معار من حسن الذات الالهية ،وأن قيسا حينما هام بلبنى ، وان مجنون ليلى حين هام بليلى وأن كثير عزة حين هام بعزة ، وان كل العشاق حينما يهيمون بمعشوقيهم ،لا يهيمون بهم على الحقيقة، وأنما هم يهيمون بالذات الالهية التى صورت تلك الصور فأحسنت خلقها ، وان الله مرئى فى كل حسن ، وأن تلك الصور الجميلة المختلفة وأن تعددت ، أنما تعبر عن معنى واحد، وهو الجمال الالهى ،وان العشاق جميعا ينضوون تحت لواء واحد لانهم جميعا يعشقون معنى واحداً . ولفهم هذا يجب ذكر قول ابن سينا فى العشق الالهى ، حيث يقول « . . . أن كل واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقا غريزيا وأن الخير المطلق يتجلى لعاشقه ، إلا أن قبولها لتجليه واتصالها به على التفاوت ، وأن غاية القربى منه هو قول لتجليه على الحقيقة ، أعنى على أكمل مافى الامكان وهو المعنى الذى يسميه الصوفية بالاتحاد ، وأنه لجوده عاشق أن ينال تجليه ، وأن وجود الاشياء بتجليه ... . الا أن معرفته بالحقيقة تعود بمعرفة

سائر الموجودات ، وكأنها تتصوره قصداً وولوعا وتتصور ماسواه تبعاً . واذا كان لولا تجلى الخير المطلق لما نيل منه ، ولو لم ينل منه لم يكن موجوداً ، فلولا تجليه لم يكن وجود فتجليه علة كل وجود ، وإذا هو بوجوده عاشق لوجود معلولاته فهو عاشق لنيل تجليه ، وإذ عشقه الأفضل ، فنيله لفضله هو الأفضل ، فاذا معشوقة الحقيقى فى أن ينال تجليه وهو حقيقة نيل النفوس المتألهة ، ولذلك قد يجوز إنها معشوقاته واليه يرجع مافى الاخبار (إن الله تعالى يقول إن العبد إذا كان كذا وكذا ، عشقنى وعشقته) ، وإذ الحكمة لاتجوز أهمال ماهو فاضل فى وجوده بوجه ما ، وإن لم يكن فى غاية الفضل ، فاذا الخير المطلق قد يعشق لحكمته أن تنال منه نيلا وأن لم تبلغ كمال الدرجة فيه . فاذا الملك الاعظم رضاه أن يشبه به ، والملوك الفانية سخطها على من يشبه بها ، لأن مايرام من التشبه من الملك الأعظم لايؤتى على غايته ، وما يرام من الملوك الفانية قد يؤتى على مبلغه . . . » ! ! ...

وابن الفارض بعد أن ذكر فى شعره شوقة للذات الالهية كلما

رأى حسنا ، وكلما هاجه حب ، فيشاهدها فكره بطرف تخيله ، ويسمعها ذكره بسمع فطنته ، فينتشى فى ظاهره ويطرب فى باطنه ، ويرقص قلبه ، وتشدو روحه ، ويراها ماثلة فى معانى الحسن والجلال — خرج من ذلك إلى أن الانسان يمثل الله على أرضه لان فيه معنى من معانى جلال الرب وكما أن من شاهد نفسه فى المرآة بدت له صورتها ، وأن من تكلم بأكناف القصور سمع صوت صداه ؛ فكذلك كل مظاهر القوة والجمال فى هذا العالم ليست غير المعنى الالهى الذى أودعه فيها . فالعبد إذا ناجى ربه ، فانما يناجى علة وجوده ، والرب إذا ناجى عبده ، فانما يناجى خلقه وصنعه ، فالصلة بين العبد وربه اذن صلة موجد وموجود ، وما دام الموجد أصل الموجود ، والموجود لا يوجد الا بهذا الموجد ، فالعبد عند معرفته نفسه ووقوفه على سموها ورفعتها أنما يعرف فى ذلك ربه ، والصورة الجميلة على ذلك اذا توجيت واذا عشقت واذا هيم بها فانما يهام بها وتناجى وتعشق لهذا المعنى !!..

انظر الى القصيدة الفارضية التي مطلعها

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

تجد ابن الفارض قد ذكر هوى جميل آدمي كما يخبرك ظاهر قوله ، ولا تدلنا القصيدة إلا على تدله في ظبي أو غزالة فاذا ماوصلنا إلى قوله

وعلي تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

طرق قلبنا شعور جديد ، شعور الهى ، معنى من المعانى القدسية يوضحها قوله

فالعين تهوى صورة الحسن التى روحي بها تصبو إلى معنى خفى

وماهو هذا المعنى غير عظمة خالق تلك الصورة وجلاله وجماله وشغف القلب بحبه والايمان به كلما رأينا أثراً من آثاره ؟ وأنا لنراها فيما نشاهد من جمال ، وفيما نحس من شعور جمال ، وفيما ندرك من حسن ، وما نسمع من ألحان ، بل وما نصبو اليه من كمال . . ففي أيماننا بالله ، في ثقتنا به ، في حبنا له ، في فهمنا لعظمته ، في تقديسنا لجماله ، في ادراك معانى الصور الجميلة التى خلقها وأحسن صورها ، والنفوس

الجميلة التى أوجدها ووضع فيها سره ، والقلوب الجميلة التى أفاض عليها حباً وطهراً ، لمعانى تسمو بنا إلى عالم الأرواح ، تسمو بالقلوب إلى أن تخرج من أعماقها قاذورات الحسد والبغضاء والحقد ، وبالنفوس إلى أن تدرك جمال الروحانيات فترى وجوب الخروج من عوائق المادة ، ووجوب التطهر من أدناسها ... فنحن إذا قلنا للشاب أو للشيخ اعشق الجمال عشقا صحيحا فأنما نريد أن نصل به من هذا العشق إلى ماهو أسمى !! ..

رأيت مرة صورة فتى جميل قذر فى ثيابه وجسمه ، فقلت أن مثل هذا وبه فى جماله معانى جمال الصور ، كمثل من أثقلته المادة فغطت على غير قليل من سمو روحه . ثم كنت بين الجمع ، الوحيد ، الذى عنى بتحليل هذه الصورة فوصلت الى أنها فى وقتها الحالى قد فقدت غير قليل من معانيها ، وأن تلك المعانى لم تضع ضياعا أبديا ، بل هي موجودة مستورة مقنعة بقناع كثيف ، اذا ما أزلناه رجعت المعانى الموجودة المفقودة ، وماعلينا إلا إزالة تلك القاذورات المادية

من ثوب ذلك الجميل ومن جسمه ليعود له مافقد ، كذلك الروح ، قنعها الناس بقناع البهيمية ففقدت غير قليل من معانيها ، وهم مع ذلك يستطيعون إزالة ذلك القناع كما تزال أو ضار ذلك الفتى ، فليجربوا ، ليروا حقيقة قولنا ... فيستطيعوا فهم الجمال وفهم أن التغزل فى الجمال تغزل فى خالقه (١)

* على أن محبة الله العبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه ، وأما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له ، وعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره .

---

(١) راجع مناجاة الجمال والحب لمحمود على قراعة ص ٦٦ ـ ٩٠

بين الجمال والاصلاح

مداواة نفوس الشباب

﴿ الاجابة عن رسائلهم وأسئلتهم ﴾

« قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة ، وقد أمكنه أن يكون انساناً ، أو انساناً وقد أمكنه أن يكون ملكا ، وأن يرضى بقنية مستعارة وحياة مستردة ، وله أن يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة »

الاصفهاني

الحب الروحى للجمال

مقدمة : ملك الجمال فؤادى وأسر لبى وأوثق روحى فاصبح حبه ساريا (١) فى عروقى يجرى فيها مجرى دماء قلبى ففاض هذا الحب على يراعى ، فصورته للناس فى معانى الصور الجميلة وفى معانى المعانى الجزلة ، وفيما توحيه الينا لذة الاخلاق الكريمة وروعة الامور الجليلة ، فكان هذا الاخراج نفثة. ونفثة بعثها السحر وكانت النفثة كتابا وكتابا بدم القلب وصرخة الروح ونورانية الحب وهداية الفضيلة ، مكتوبا!!...

لاقيت فى البحث عن الجمال أنواع عدة من الصدمات التي تلاقى كل باحث عن أمر يريده ويريده جاداً مجاهداً . لكن لم أنثن عن الجهاد فى سبيل هذا المعنى الذى أريد أن نصل جميعا اليه ، معنى أن الجمال كله سمو ، فمن الظلم ومن

---

(١) مقدمة مناجاة الجمال ومعانى الحب بقلم محمود على قراعة فى يناير سنة ١٩٢٩

الخطل ومن الجهل الفاضح ومن السقوط المزرى أن يكون نوع منه وهو جمال الصور خارجا عند الكثيرين من معاني السمو والتقديس الى انزالهم اياه منزلة مباول يقضون منه مآرب بهيمية ولا يفهمون فيه غيرها !! .

دعانى ذلك الى أن أتحدث عن الحب وماهيته وصلته بالروح والقلب ، فأخرجته من أن يكون رغبة أوشهوة ، وأخرجته عن الظواهر الى الحقائق ، واستنتجت من ذلك أن لذة تنشأ فى القلب مجردة عن معانى الرغبات والشهوات متصلة بما هو أسمى منها من الصلات الروحية ، لابد أن تكون هى كذلك روحية ! !

ولاثباتنا روحانيتها بينا الصلة بين تقديس الصور الجميلة وتقديس خالقها ، وبين كمال لذتها فى معناها دائما ونقص هذه اللذة فى الجسمانيات الفانية ، وبتحقيق الكمال فى البقاء والدوام ببقاء الأرواح كما نعلم جميعا ، والنقص فى الفناء والضعف والانحلال فى الاجسام ، نتبين أن لذة الكامل كاملة ولذة الناقص مثله ، وحيث أن جمال الصور فى معناها ، وحيث

أن هذا المعنى يحمل معنى التقديس ، وحيث أن هذا المعنى روحى يشعر بالاستمرار والبقاء ، اذن فاللذة الناشئة عنه تكون كاملة معنوية مقدسة روحية مستمرة باقية ، وبذا فلذة جمال الصور كجميع لذات الجمال المعنوية ، لذة روحية أدعو الناس الى فهمها حتى يتركوا بهيميتهم فى فهمها ، فمن استطاع فهمها لتكون سبيلا لرقيه الروحى ،فعل ، والا فأنصح صادقا للذين لايفهمونها أن يغضوا أبصارهم عن النظر الى جمال حسى لان بجهلهم اياه يجعلونه مباول فيسقطونه من عرشه الى أحط درك تنزل اليه العروش ولأن بغضهم حفظا لنفوسهم من السقوط الذى رسموه لأنفسهم بجهلهم وبانسياقهم مع الضعف الانسانى .

ونصرح أن دعوتنا الروحية لايستطيع كثيرون اتباعها ولا فهم ماجاء فيها ، وما (ها ، ها ، ها) التى قابل الاسئلة بها أحد الاساتذة الفرنسيين حينما عرضتها عليه ، وما نخوف الكثيرين من الاساتذة فى الخارج من الاجابة عنها ،واحجام غير القليل من التعرض لها ، ألا أثرا من آثار التشبث

بفكرة اتصال البهيمية بالجمال . فأنا حينما خرجت عن المجموعة في فكرها ، وعن الاغلبية الساحقة في حبها وفهمها ، خرجت وأنا موقن أن القليل يفهمني ، وحسبي أن يفهمني أفراد قلائل يتمسكون بما يظنه الناس محالا ، ويلتذون بالروحانيات بينما غيرهم يعمه في ضلالته ساخراً من الفكرة ضاحكا مقهقها ، ومقهقها طويلا قهقهة جاهل اللغات على من يتحدثون بها ... ونحن بدورنا نحس ضعف الماديين في الجمال ، فنرثي لهم ونشفق عليهم ، لان الفرق بيننا أنا كبحنا جماح النفس البهيمية فأمتناها ورفعنا لواء الروحانية فتذوقناها ورأينا صوراً جميلة فحللناها ، ووصلنا الى معانيها ففهمناها وأوصلنا الفهم الى لذة روحانية سامية باقية ، خسروها وربحناها ! !

نمرين : يبعث حب الجمال السعادة الكاملة والعظمة التامة ، لذا كان ضروريا لنا ، لان دواء أمراضنا النفسية ليس في تنمية المعنويات فحسب بل في تنمية الشعور ، في تنمية الحياة التي تتصل بالمعاني ، في تنمية الذوق والشعور بالجمال ..

فمعنى الحب أن يكون بين قلبك والاشياء الجميلة جاذبية ، فحب الطبيعة هو فتح قلبك لها ، وحب الفضيلة صلة روحك بها ، وحب الجمال مغناطيس روحك وقلبك ، وحب الصديق وفاء يجعله دوما فى فكرك ويجعل صورته مرسومة فى كل آن على صفحات قلبك ، وحب الله تعالى تقديس للجمال أسطع دليل على وجوده ووحدانيته وعظم قدرته ، فاذا فهمت هذه المعانى المدرك لك منها بعضها والخفى عنك سر أعظمها ، استطعت ان تدرك مامعنى الجمال وماصلته بالروح !! ..

* وأول ما يجب ان ندرسه لنفهم روح (مملكة الجمال) ان نعلم ان حب الجمال الحسى مجردا عن المعنويات يكون ضعيفا لاننا نستطيع التغلب عليه ونسيانه كأن لم يكن ، اما اذا مزج الجمال الحسى بجمال معنوى ، فذاك هو الحب الدائم الخالد لان الجمال الحسى سيزول يوما ما ، ولن تبقى الا ذكراه ولكن تبقى المعانى دوما ، أما اذا وجد الجمال المعنوى فحسب فذلك يكفى لبقاء الحب ونمائه لانه جمال لايزول ولن يزول

بعكس الجمال الحسى الذى تؤثر عليه حالة الجسم من المرض والصحة وكبر السن .. لذا كان الجمال المعنـوى أقوى تأثيرا فى النفس لبقائه وازدياده ، بينما الجمال الحسى تزيده الايام ذبولا وعوامل الفناء هدما .. وشتان بين جمال يتطرق اليه القدم ، وجمال تزيده الايام جدة ! ! ...

* ولسنا نريد بذلك ان نغفل شأن الجمال الحسى ، أو أن نحاول أن نغض من قدره ، بل نريد أن نفهم الشبان ، نظريتنا واضحة جلية ، فالاعجاب بصورة جميلة عندنا شىء والرغبة فى امتلاكها شىء آخر ، لانه قد يحول بيننا وبينها كثير من المعانى الفياضة التى تجيش فى النفوس القوية ، فتأبى عليها الا أن ترى القوة ظاهرة فى كل منحى من المناحى .. وبذا لايكفى لامتلاك الصورة الآدمية الجميلة ـ سواء أكانت صورة فتى أو فتاة ـ ان نعجب بها ، بل يجب علينا أن نحللها ونتفهم معانيها ، وندرس نفس صاحبها وروحه واخلاقه وعقله ورأيه وفكره وقلبه ، فاذا تم اعجابنا بهذى جميعا ، تم اعجابنا بالصورة .. والا كان الاعجاب ناقصا .. والنقص فى كثير

من الصور الجميلة يجب ان يحول بيننا وبين الاتصال بها ، وان كنا نعجب بها فى منحى من مناحى سحرها كقطعة فنية.

* تصل المؤلف رسائل كثيره خلاصتها ان اصحابها الشبان ينكرون ان الجمال يصلح ، لانه يدعوهم كما يقولون — الى افتراع الابكار والتعدى على أعراض الولدان ، ولانهم يرون الجمال أنى وجد داعية الى البهيمية والشهوة . فرأينا ان نوضح نظريتنا لهم كى يفهموها ولكى يفهموا حقيقة الجمال فلا يسمحون بعد ذلك لانفسهم العيش فى القاذورات كما تعيش الديكة فيما يخرج من السبيلين !! . ولكن أى الضمائر نريد أن نحيي وأى النفوس ينبغى ان نطهر ! ! .. والنفس الامارة تسير فى غوايتها مستمرئة دنىء لذتها ، حتى اذا أهبنا بها أن استيقظى غالطت وأمعنت فى المغالطة ، حاسبة آلام الجسم من لذاته نعيما ، وشلل الروح فى سبيل تلك اللذات هناءة ، وما تزال مستمرة فى الغى ، ومازال بها حتى تتضارب مع النفس اللوامة فتستيقظ الروح فتجد قبحا مجسما تبغى بعده جمالا ، فلا تجد ولن تجد مادامت البهيمية قد ملكت صاحبها ومادام قد ذل

لها فاصبح عبدها حيث كان يجب أن يكون سيدها !! .. على أن نظريتى - فى النظرة البريئة الى الجمال مبنيـة على تجربتي الخاصة وليس عجز شباننا عن مجاراتها بمضعف لها ، لانه قد تبين لنا من مناقشتهم أنه لجهلهم الوسائل الضرورية لفهمها ولاحتياجهم لتفسير قيم لمعنى الجمـال ، ولـكثير من أسباب تعلقوا بها عن أن يفهموا اصلاحا فى الجمال ؛فانـكروا سبيلنا واستغربوه وعدونى من غـير عالمهم ، ووصل بهم الانـكار الى حد انكار صدق قولنا فى تذوقنا روحيات الجمال !! .

* تعال أيها الشاب وعاهـدنى على تطهير فـكرك من الدنس وقلبك من الرجس ، ونظرتك من الاثم ، وروحك من سوء فهم الجمال ... ثم درب نفسك على تذوق فـكرتنا وأنا واثق انك اذا تذوقتها ستوقف لذتك البهيمية وستفتح قلبك للذتنا الروحية ، وأنا الـكفيـل لك بان لن تشعر بالاختلاف الذى ينشئه وقوف لذتك المجرد بعد استمرارها مدة ، أو اليأس الذى ينشئه البعد الدائم لها ، أو الحزن الذى ينشئه ذهابها وفقدها . ذلك لان أقسى هذه العواطف الثلاثة

الذى يؤثر على العقل من وقوف اللذة هو الحزن ، ولانك وان كنت ستتألم بعض التألم من ترك عادتك ، لكنك ستتعشق عاطفتك الجديدة وتحبها ، لانك ستجتاز خطرا خلقيا يشعرك بسرور تمتعك بلذتك الروحية الجديدة التى تشعرك بعظمة روحك التى قاومت البهيمية بعد أن كانت صغيرة حقيرة لانغماسها فيها ! ! ..

وانظر بعد هذا التطهير لجمال الافراد ، أليس أول مايبهرك منهم سحر العيون ؟ ! .. انظر لهذا الاعجاب الذى يشعرك به الجميل فى أعماق قلبك ، ثم قل لى ، أليس مابلى هذا فى المرتبة أن تبغى سماع حديثه ورقته ، ثم رؤية جمال ابتسامته ؟ ... وفى هذا الذى مر بك ، ما الذى شاقك ؟ .. أليست الحياة فى العيون ، حياة بريقها ، وحياة سحرها ، والحياة فى الحديث ، والحياة فى الابتسامة ؟ .. أذن ليست العين راقتك ، ولا الابتسامة سحرتك ، ولا الحديث شاقك بل هو حياة هذه جميعا ، بل قل هى خفة الروح حببت اليك حديث الجميل فجعلته مغناطيسا جاذبا لقلبك ، وهي الروح بعثت اليك فتنة

فتور عينيه ، وهى الروح أرسلت اليك تحية ابتسامته !!..
فالصلة بينك وبين الجميل كما رأيت صلة روحية ويعوزك
لتذوقها أن تتفهمها ، فاذا ماتفهمتها حلت بينها وبين البهيمية ،
وهذا حاولنا ونحاول افهامك اياه فى كتابنا (مملكة الجمال)
فادرسه وادرسه بعناية لكى ترتفع مع الارواح العالية لى مرقاة
الفضيلة والجمال ! ..

سبيلنا مراعاة النفوس : يتساءل الكثيرون عن وجه
اصلا حنافى محاولتنا أن يحب الشبان الجمال على حقيقته (١)
ويقدسوه ، فأجيب أن سبيل الاصلاح هذا مستمد من
روح الشبان الذين أريد افهامهم انى أحب الجمال بل وأعشقه ،
وبذا يرون انى لست جامد العاطفة كما يرمون كل داع للفضيلة...
ثم بعد أن يجدونى حى الشعور ، نتقابل فى طريق هذا الشعور
فأريهم حياة الجمال فى الفضيلة ، وبذا يرجى منهم استماع

---

(١) مقدمة الطبعة الثالثة لمملكة الجمال والحب بقلم محمود على
قراعة فى يناير سنة ١٩٢٨

نصحى بعد ركونهم الى ورضائهم عن روحى ونفسيتى . وما الدواء الذى أقدمه للشبان الا نتيجة جهد درسى نفسياتهم وميولهم المختلفة فى مختلف أدوار حياتهم ، وجهد المعرفة الحقة للفرق بين الحب والعاطفة ، ولذا نحن حريصون على الشاب فى قولنا ، اذ نتدرج معه من الجمال الى الاعجاب به ، الى حبه وتقديسه . . . ولكن السادة المنتقدين يسيئون فهمنا وفهم روحنا وكتابتنا ، حتى ادعى بعضهم ان فى كتابتي مناجاة ، وأنا لا أدرى لمن المناجاة التى يدعيها ، وحياتى ظاهرة للناس جميعا عمادها الطهر والشرف ، وهل يظننى (المدعى) قد عثرت على قلب سليم يصح أن يشقى له قلبى ؟ . أقول لا ! . . . لكن اذا كان عشق الجمال من حيث هو مرقاة الارواح بحسياته ومعنوياته مناجاة ، فأنا والقريع الصارم من أسمائى جدير بهذه المناجاة السماوية لا الارضيه الطينية ، لان الناس ذئاب تنهش وذئاب تعوى وذئاب تفترس فليس لى ولا لطلاب الكمال ان ننزل الى المناجاة الارضية فتقتلنا حياتها نافثة فينا سمومها ، نازلة بنا الى أرض المادة ، خارجة بنا عن سماء المعنى طاردة لنا من

مملكة الارواح ، باعثة لنا شقاء الروح والجسد ، ولكن لى ولكل طالب كمال — أن أناجى الارواح فى الجمال الحسى والمعنوى . . . وترانا نعنى بالاجسام وصحتها ، لانها سبيل الارواح ، ولان أمراضها — فى الغالب — باعثة : أمراض النفوس . فعنايتنا بالاجسام عناية موصلة الى عنايتنا بالارواح لكن ليس معنى هذا أنا ندعو لاجسام — كما يفهم الراسخون فى الجهل بل معناه أنا ندعو لصلاحية الجسم لكى تصلح الروح ! ... فالجسم موصل ، وقد يكون الموصل رديئا وقد يكون حسنا ، ولكنا ندعو الى رقى الروح كى يصلح الجسم وأن رأى المنتقدون أننا ندعو اليها متلازمين ، فليثقوا انه ليس على الارض عاقل يرضى تضحية الروح فى سبيل الجسم ولكن قد يعتقدون معى بوجوب تضحية الجسم فى سبيل الروح — إن أعوزتها هذه التضحية — ولكنى اريد أن أقول بتلازم صلاحية الروح والجسد ، وأنى بدعوتى أدعو إلى أن يكونا سليمين ، لاتخذ قوى الجسم والروح لى حجة ولست أريد بقوة الجسم الا خلوه من الامراض القتالة التى

تكونها الشهوة الساقطة . فأنا أجاهد للفن لانى رأيت الشباب ولى وجهه شطره ، فكان واجبا على وأنا من هذا الشباب أن أجذبهم بحبهم هـــذا للفضيلة فأجذبهم بنوع مغناطيسيتهم من حظيرة الفن الآثم الى الفن البرىء، فيتذوقوا الفنون الجميلة على حقيقتها وبذا يمقتون التبذل الفاضح المثير لدنىء الشهوات فى المسارح الاستعراضية ، ويعرفون أن الفن ماناجى أرواحهم وضرب بنغماته ألحان شتى العواطف الشريفة على قلوبهم ، فاشعرهم حب الجمال ، حبا يصعد بهم الى صف الملائكة ، ويخرجهم من النزول الى البهيمية فى الفنون كما يصورها لهم المرجفون المضلون ، ويبعدهم عن النزول الى صف البهائم فيها كما يحسبون . . وبذا أسمو بهم الى تذوق الجمال على حقيقته فيرون بعد تذوقهم هذا أن جمال الارواح يفوق جمال الاجسام ، وان جمال المعنى خير من جمال الحس ، وأن جمال الحس ساحر لانه يوصل الى جمال الروح !! . .

ولقد أدركت من درسى نفوس الشبان ، أن الذى صرفهم عن الفضيلة هو اعتقاد ذويهم الجهلاء الحمق ان من

دواعى الفضيلة الابتعاد عن الجمال ، والجمال حياة ، والشباب يحب الحياة ! فهلا ترى اذا حكمت عليه بالابتعاد عن الجمال ثأر لنفسه الميتة ولروحه التي قضيت عليها ، فتثور عوامل حب الجمال فى نفسه — نفس الشاب الفتية فيرى روحه سجينة فيفرج عنها ببذل جسمه ذلك البذل الدنىء ، فينقلب بهذا الحكم من انسان الى وحش بهيمى !!. وأكبر يقينى لو عرف الشبان الجمال على حقيقته لرقت أرواحهم فاحترموا الجمال وقدسوه ومن دواعى تقديس الجمال صيانته من العبث الآثم ومن التعدى الدنىء ! ! . .

الجمال كدواء للنفوس : ولذا وضعنا عدة أسئلة لنجيب عنها لكى نفهم النظرية الروحية ، أولها ماهو الجمال ؟ ويكفى أن نشير الى ماقلناه اجابة عن هذا السؤال ، أما السؤال الثانى فهو أى أنواع الجمال أقوى تأثيراً فى النفس ، ولماذا ؟ فنلاحظ أن الجمال الحسى على قوته لايصل الى المثل الاعلى فى التأثير ألا عند أشخاص قلائل يفهمونه كما نفهمه فيضمونه الى الجمال المعنوى لانهم يرون فيه سمو المعانى ويعشقون فيه قوة هذا

السمو . ولـكن الجمال المعنوى ، جمال الروح وماينتجه جمال الروح يفعل فعله فى جميع الناس على اختـلاف مذاهبهم فى الجمال وأن كان هذا التأثير لايقوى الا عند من يفهمون الجمال ! !

* أما السؤال الثالث فهو هل ترى الجمال الحسى (وأعنى به هنا جمال الصور الآدمية) سبيـلا للاصلاح الخلق ؟ — الانسان بين أمرين ، وقوع فى ظلمات الأجسام أو خلاص منها الى أنوار عالم القدس ، فهو منتقل بين روحه وجسمه ، جعلت فيه شهوة تغلب علي عقله (وخلق الانسان ضعيفا) تغالب الشهوة بين ضدين ، اذ تغالب بين الروح والبـدن ، تغالب بين علوى وسفلى ، بين نوراني وظلماني ، بين لطيف وكثيـف ، بين سمـاوى وأرضى ، بين رحمـانى ملائـكى وشهوانى شيطانى ! !

فهو بين هذا وذاك بين أمرين ، بين روحانية راغبة فى معرفة الله فرحة بهذه المعرفة ، مائلة الى محبته ، مبتهجة بجلاله مطمئنة بذكره وبين جسمانية حيوانية تفرح بالانغماس فى

الظلمانيات ويقويها الادمان على الشهوات ، وفى كلا الامرين يعظم التذاذ الشخص بلذاته عند تنقله من الشدة الى الرخاء. فلذة الروحانية لاتعظم الا بحضورها بعد غيبتها ولاتعرف لها قيمتها الا عند غيبتها بعدحضورها ، فاللذة شديدة وكاملة اذا كانت مقصودة قبل أو بعد ، ولكن اللذة الجسمانية من شرب وأكل ونكاح تفقد شيئا اسمه عظم لها أو كمال لأن لذة العطشان ، هى الرى ، والجوعان ، هى الاكل ، والمندفعة بهيمته ، اراقة منى هذا الاندفاع . وفى كل من الاكل والشرب والنكاح توجد حدود مانعة من أن تأكل أكثر مما تتسع له معدتك ، أو تشرب أكثر من المقدار المعين للشرب أو تتصل بزوجتك اتصالا بهيميا أكثر من فترات معدودات ، واذا زدت من الاكل ، كانت التخمة ؛ ومن الشرب ؛ أو ذيت ؛ ومن النكاح ، أضر ذلك بجسمك وصحتك وعقلك وقوتك الحيوية . هذا التحديد لتلك اللذات الجسمانية يجعلها لذات ضعيفة ، لذات لايستطاع أن تقوى ولاأن تصل الى حد العظم . اذن تخرج اللذات الجسمانية على أنواعها من

حديث العظم فى اللذة أو الاستمرار فيها بدليل أنك اذا استمررت على نوع منها لاتبقى لذة فلذة المآكل الشهية مثلا لايشعر بها غنى متعود عليها ، بل يشعر بها فقير لم يذقها وباستمرار هذا الفقير عليها تضعف لذتها ، حتي تنعدم ؛ومثل لذة الأكل سائر اللذات الحسية .

لكن اللذة الحقيقية هي اللذة المستمرة ، اللذة التى لاتضعف ، بل تقوى ، والتى لاتتغير ، بل تتطور ، والتى لاتقف ، بل تسير ، والتى لايعوقها أى شىء ، بل يقويها كل شىء . هذه اللذة هى اللذة الروحية ، لذة الصفاء ، لذة النقاء لذة المعانى ، لذة تذوق جمال الصور ، ولذا كانت الصور الجميلة باعثة على الاصلاح الخلقى ، لأن حبها يدعو الى السمو الروحى والسمو الروحى يدعو الي الكمال الخلقى ؛ والكمال الخلقى يأبى السقوط ! ! . .

ونحن لانريد أن ندعو البهائم الأرضية ألى تذوق نظريتنا الروحية ، لأنهم لن يتذوقوها وأنما ندعو اليها الشبان الذين لم تدنسهم بعد البهيمية ويرون فى الجمال سرورا يعلله آلهم

الجهلاء ، باندفاع الحيوانيه ، وندعو اليها الشبان الذين يريدون انقاذ أنفسهم من تيارهم الآثم الى تيار لذيذ جميل بريء ، تيار حب الجمال ، وحبه على حقيقة معناه ، لا على ظاهره الموشى فيحللوا صور الملاح تحليلا معنويا ساميا خارجا عن حدود المادة الى بهجة البصيرة الباطنة المدركة للمعانى ، وبذا ينفذون الى سر الجمال سر الكائنات المقدس كما سماه توماس كارليل فى كتابه الابطال ، السر الجلى كما يسميه جايتى ، السر الالهى المستقر فى باطن « الظاهر » كما يقول فيشتى ، ويفهمون مع جيتا أن الجمال أفضل من الخير لانه يشتمل عليه وعلى أكثر منه .

* أما السؤال الرابع فهو « ماسبيل تذوق الشبان الجمال وكيف يفهمونه على حقيقته ؟

يرى كثيرون أن سبيل اصلاح الشبان الخلقى فى اصلاح بيئتنا وأن يكون لكل شاب (غية) تصرفه عن وساوس الشيطان تكون له لذة نبيلة ، وأن يحبوا الاطلاع والكتابة والفنون والرياضة البدنية وأن يكون لهم جمعيات للادب

والفن تملأ فراغهم . ولكن هذا كله مع مافيه من تهذيب وترقية خلقية ، لايصل بالشاب الى تذوقه الجمال أو الى فهمه على حقيقته ، ذلك لان البيئة مهما صلحت لاتعطى مثلا عاليا للحياة لانها تفهم التقييد ، والمثل العليا لاتفهم هذا التقييد ، وتفهم الأغلال ، والجمال يحطمها جميعا الى حيث الحرية ، فانا أقرهم على صلاحية البيئة ولكنى لا أقرهم على تأثيرها وهى مقيدة ، لان للبيئة أن تؤثر وللفكر الانسانى أن يدبر ، فاذا رأت بيئتى أمرا ، لم أكن مستريحا الى تقليده ، خرجت عليه وفى خروجى واذعانى لفكرتى ؛ معنى من معانى تذوق الجمال . وكذلك (الغية) يجب أن تكون بنت الميل الشخصى لا بنت التقليد الاعمى ، لان فى الميل انافاعا اليها ، وفى الاندفاع اليها معنى من معانى الحب ، وفى معنى الحب جمال . والاطلاع لايجدى الا اذا أحسنت انتقاء ماتطالع ، انتقاءه من حيث جمال الاسلوب ، جمال المقصد ، وجمال الفكرة . والكتابة لاتفيد الا اذا تعلمت أن تكون صادقا فيها مندفعا غير متكلف ، كذلك الفنون من تمثيل وتصوير وموسيقى وغناء

لاتجدى مالم تكن منتقاة بريئة حرة قوية لا ضعف فيها ولا تكلف فى معانيها . وأما الجمعيات فخيرها فى أن تجمع أشخاصا متحدى المبادىء والأغراض ، يعملون لمثل أعلى يبغون الوصول اليه ، ويسلكون فى سبيله أشرف المسالك ... ولكنى مع ذلك أرى ان للمنزل وللمدرسة وللاصدقاء الأثر الأكبر فى تذوق الجمال وفى فهمه على حقيقته ، ذلك لأن تأثير هذه جميعا مع مالها من سلطة روحية وغير روحية ، يدعو الفتى الى أن يفهم الامور كما يفهمها أياه منزله ومدرسته وصديقه . وفى المنزل يجب أن تحطم تلك الاغلال التى تقول بوجوب ابعاد الصغير عن المباحثة والمناقشة والمناظرة ، تلك الاغلال التى تبعده عن فهم الحياة وتزج به ان راضيا أو مرغما فى فهمها على عكسها .

وهل تنتظر ايها القارىء من فتى مبعد عن المناقشات وعن حضور مجالس أبيه وأخيه ، الا أن يحضر مجالس خادمه وخادمته وأمثالهما وهنا فهم للحياة كما يفهمانها ، اشراك له فى ذوقهما ، افساد لاخلاقه بحديثهما ، ونزول بفكره الى مستواهما ، واذا نزل الفكر

الى هذا المستوى الحقير، هل نرجوله صعودا ومنه نتيجة وثمرا ؟..
اللهم كلا.. والمدرسة ماذا يجدفيها ! يجدزملاء وأساتذة يفهمون
الجمال كما يفهمه العامة ، فيفهمه فهمهم ، ويقتبس عنهم فكرهم
وكل منهما شروبيل مضافا الى الذين يدعون صداقته ،
ويلتفون حوله ، ويوهمونه أنهم يحبونه فيحبهم ، ويحبه لهم ،
يطيعهم فى أهوائهم ، وفى طاعته نزول معهم الى حيث ينزلونه
وفهم للجمال والحياة كما يفهمونه ... اذا ، مادامت البيئة تأبى
الخروج على سقيم عاداتها ، ومادام رجال التعليم يأبون ادخال
الحياة الفنية الصحيحة فى المدارس ، وانتقاء الاساتذة ذوى
الاخلاق الكريمة فيها ، وما دام الآباء والاخوة لايعنون
باشراك أبنائهم واخوتهم معهم فى رياضاتهم ومجالسهم ،
ومادام وا لا يعملون على ايجاد جو صداقة صالح لهم ، فلن يفهم
الشبان جمالا ولن يتذوقوه على حقيقته ... والسبيل الوحيد
لتذوق الشبان الجمال ولفهمه أن يخصص فى كل معهد علمى
استاذ من أساتذة علم النفس يكون من واجبه درس نفسية
كل طالب واعطائه الدواء الناجع ، ودرس نفسية المجموعة

والسمو بها الى فهم الفنون ، الى فهم الصداقة ، الى فهم الاخوة الى فهم الحب والأخلاق والجمال !! ..

* أما السؤال الخامس فهو « كيف السبيل الى مداواة نفوس الشبان من حيث الرقى الروحى ؟ ـ ذكرنا أن بالشبان نزعة الى الحب ، نزعة الى يكونوا محبين ومحبوبين ، فالسبيل الى مداواة نفوسهم اذن انما يكون ناتجا عن تلك النزعة القوية ، نزعة الحب ... ولقد رأينا بالتجربة ان الشاب المتعلم مهما تعلق بالمشخصات المادية ، اشتاق الى الاتصال بما تنتجه العقول المجردة ، والى التلذذ بالصور العقلية المرتسمة فيها ، فتطربه آونة قراءة كتاب فلسفى ، وتلذه اخرى مطالعة سفر فنى ، وتشوقه ثالثة قراءة أو مشاهدة رواية على مسرح التمثيل أو على لوحة (السنما) . . وهذه التجربة المشاهدة تساعدنا عند مداواته اذا ما صحبه فى تفسير معانيها وفى تذوق جمالها صديق كريم الخلق . . . فالصداقة والحب ، والصداقة والحب وحدهما يستطيعان أن يوجدا من الشيطان ملاكا ومن الملاك شيطانا ، ومادمنا نرى دائما نزاعا بين العقل والعاطفة ، تتغلب

العاطفة فيه غالبا ، فالاحرى بنا أن لانتصل إلا بمن نثق بسلامتنا منه أو بازدياد روحانيتنا بالاتصال به . . . لأ ناسيأمرنا الواجب بعد الاتصال ، بالوفاء ، والوفاء يدعو الى ذكر الصديق دوماً ، فاذا كنت ستذكر صديقك صاحب الروح الناقصة ، وستذكره ذكرا متواصلا ، فهلا يؤثر ذلك على روحانيتك ، ويعوقك عن التقدم فى سبيلها ؟ فأى السبل اذن يجب أن تسلك عند اختيار الاصدقاء هل يكفى أن تكون له محبا وأن يكون لك وفيا ، أم أن الوفاء يدعوك الى أن تنزع منه نقائصه ، كما أنه يدعوه الى نزع نقائصك. أما ان رأيت الوفاء انقيادا وطاعة عمياء ، فالسقوط الخلق ينتظرك ، واما ان رأيته اعطاءا له من الخلق ، بخير ماعندك واقتباسا من خلقه خير ما عنده ، فذلك سبيل الاخاء الحقيق ؟ وهذا الاخاء يدعوك الى أن تفكر فى جمال صداقتكما ، وهذا التفكير يفتح عينك على كل جمال ، ويتدرج بك اختيار الصديق الكريم الخلق ، الى امتياز صداقتكما عن الصداقات الموجودة ، فتخرجان معاً من مهواة القوة المستترة الى الفعل

التام ، فتخرجان الى الكمال ، وتفكران عند صعودكما لكما الى درجاته فى فهم مسببات البهجة والراحة بما يليه هذا الكمال فتلتذ نفس كل منكما بالحب الروحى فى صداقتكما ، وتفهمانه فى كل ما يحيط بكما من جمال ، وبذا تتطهران من قاذورات الطبيعة المائلة الى الجانب الحسى السافل ، فتقهران القوى البدنية ، فلا تستطيع الجسمانية منعكما عن عالم الروح ، فتستفيدان بذلك دائما من عالم الملكوت ويزيد علمكما به فتزدادان مشابهة له ، وفى ذلك ارتياح منكما للوصول الى الملأ الأعلى ، فترقى له روحاكما ، رقياً مستمراً غير واقف .. ويدعوكما هذا الرقى الى فهم حقائق كل جمال ، ومعانى كل صورة . وفى فهم الجمال ومعانى صوره سمو روحى لن يصل شبابنا اليه الا بمراعاة مايحبون من أشياء وأشخاص ومبادىء او باختيارها جميعا من النازعة الى فنون الجمال ، ليصلوا بها الى مرقاة الكمال ! !

الجامعة المصرية والنظرية الروحية للجمال : رغبنا فى أن نجد محبذا لنظريتنا من أساتذة الفكر فى مصر ، فوجهنا الأسئلة

السابقة لاساتذة الجامعة المصرية فاجابوا عنها أجابة مستفيضة نشرناها فى كتابنا « مناجاة الجمال ومعانى الحب » ونكتفى هنا بذكر جوابهم عن سؤالنا القائل «هل الجمال الحسى سبيل لمداواة نفوس الشبان ؟ » فقد أجاب عن ذلك أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بقوله » :

« . . لست أرتاب فى أن نزعات الناس حبا منزها عن الشهوات ، وان فيها شهوات لاحب فيها ، وأن من الحب ماتخالطه الشهوة ، فاذا بلغ الحب غايته اضمحلت الشهوة فنسيت . وأحسب قوة الشهوة أو ضعفها دليلا على ضعف الحب أو قوته. وآية هذا أن المنظر الذى يهيج الحب غير المنظر الذى يثير الشهوة . مثل لنفسك فتاة جميلة خفرة رحيمة القلب خيرة ثم انظر ماذا تبعث فى نفسك ، وان اردت أن تبلغ بالمثل غايته فتخيل هذه الفتاة على جمالها وخفرها حزينة باكية

ثم سل نفسك هل يوحى اليك هذا التخيل الا الحب المنزه والعطف الخالص ؟

مثل لنفسك كذلك فتاة أخرى وقاحا متبرجة غليظة

القلب شريرة ، وان تشأ فتخيلها مع هذا ضحاكة ماجنة لعوبا راقصة ، ثم سل نفسك وتفكر ؟ ستكون الاولى فى قلبك ينبوعا يفيض بالحب والحنان والطهر ، على حين تكون الثانية شعلة شهوة قصيرة الامد ، سريعة الخمود لاتبالى بعد خمودها أذهبت هذه المرأة الى الجنة أم النار .

الحب الروحى نزعة الى العـــلاء تضمحل فيها المادة واعراضها وتعزف بالمرء عن الطعام والشراب وتمده بسرور منقبض ، وتحبب اليه الوحـدة والخلوة وقد تتمادى فتنفر به حتى عن الحياة ! سل عن هذا الشعراء العاشقين ، وكتاب القصص فى تاريخ البشر القديم والحديث

وأما الشهوة فاسفاف وقوده الطعام والشراب . وديدنه الهيج والاضطراب ، وسل عنه الفساق فى كل مكان .

ما أحسب انسانا قتل نفسه من اجل امرأة يشتهيها أو طعام يبتغيه أو ماشابه ذلك ، وأما العشاق فسل عن مصارعهم كل قبيل ، وحسبك بالمجنون وجميل ، وفرتر ورفائيل .

مسرى الحب الخليقة فى ارضها وسمائها ، والانسان فى

جمال خلقه وفكره وقوله وعمله . وقديما أسس دين زردشت على « الفكر الطيب ، والقول الطيب والعمل الطيب » وفى ذلك مجال غير محدود « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ... »

* وأجاب استاذنا أحمد امين بقوله « .. يظهر أن المحسات دائما درجة يعبر عليها الى المعنويات . ففى المنطق انما تبنى المعلومات على البديهيات وهي انما تبنى على الادراك الحسى ثم لايزال العقل يرقى فى الادراك الى أن يصل الى ادراك ماوراء المادة ، وكذلك الشأن فى العلوم الرياضية والطبعية وكذلك الشأن فى الجمال ، فالجمال الحسى مقدمة طبيعية للجمال المعنوى فمن لم يدرك المحسوسات جمالا لم يستطع بحال أن يدرك للمعانى جمالا - ولكن اذا وصل الانسان الى أدراك مافى المعنويات من جمال ، ازدرى بجانبه الجمال الحسى فهو يفضل أنسانا جميل الخلق قبيح المنظر على قبيح الخلق جميل المنظر ويفضل جمال الحديث وجمال العقل وجمال التفكير على جمال اللون وجمال الوجه وجمال الحركات وهكذا . .

ان كان ذلك كذلك فيجب أن نشجع فى الشبان ادراك الجمال الحسى ، لاعلي أنه الغاية القصوى فى الجمال ، ولكن على أنه مرحلة يجتازها الناشىء ليدرك بعدها مافى المعانى من جمال . يجب أن نعوده أن يدرك جمال الوجه وجمال الفن وجمال البحر وجمال النجوم،ونعده بعد ذلك لأن يدرك جمال الخلق وجمال النفس وجمال معانى الشعر وجمال الاسلوب وجمال الروح ، فان هو اقتصر على الجمال الحسى فشأنه شأن من سلك بعض الطريق وقصر عن الغاية .

يجب لاصلاح الشبان أن نربى فيهم الذوق لادراك الجمال الحسى ولكن يجب أن نعلمهم بجانبه الجمال المعنوى ونفهمهم أن للجمال حرمة من لم يرعها فقد دنس مقدساً ـ حرمة الزهرة الجميلة أن تعرف أين تضعها فى المكان اللائق بها وأن تمنحها من الاعجاب ماتستحقه ، فان أنت قطعتها ونثرتها أو وضعتها فى غير موضعها فقد عاملت الجميل بالقبيح ، وكذلك فى كل جميل . فلئن كان اصطناع الجميل واجبا دائما فهو مع الجميل أوجب ، وأقل مايجب ، أن يقابل الجمال الحسى

بالجمال الخالق ...»

*وأجاب أستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق بك واشترك معه فى رأيه استاذنا الدكتور منصور فهمى بك ، بقوله « ...

والمعانى الدقيقة التى فى مرتبة الجمال يعسر أن تجلى فى حد حقيقى يجمع أجناسها وفصولها . وعندى أن خير المحاولات التى قصدبها الى تحقيق معنى الجمال هو رأى القائلين بأن الجمال هو كمال كل شىء فيما يكون حقيقته ، فجمال الانسان كماله فى انسانيته أى حياته وتفكيره ، وجمال البيت كماله فيما يحقق معنى البيتية من الايواء والسكن ، وجمال الرائحة كمالها فى احداث اللذة السليمة للمشام .

واذا كان الجمال على هذا الوجه ينزع منزعا معنويا فان للمحسوسات ايضاً جمالا باعتبار صلتها بالمعانى ودلالتها عليها.

فالصور الانسانية تكون جميلة على مقدار مافى ملامحها وتكوينها من دلائل الكمال فى الحياة والتفكير .

ولما كان خير مافى الوجود ، الحياة والفكر ، وهما من خصائص الانسان ، كان أقوى أنواع الجمال تأثيراً فى النفس

هو الكمال فى الحياة وفى الفكر وفيما يدل عليهما من الملامح والصور .

وليس لنا كلام فى جمال المجردات التى يهفو الى جمالها المتصوفة وأهل التجريد ، وتذوق الجمال على المعنى الذى أوردناه خصوصا فى أرقى أنواعه أى الجمال الانسانى مما يسمو بالمرء الى الكمال ويورثه عزوفا عن القبيح الناقص .

ولعله ينتهى بأن يطبع النفس بطابع الجمال فى عواطفها وتفكيرها وفى ماتعبر به عن عواطفها وتفكيرها من الحركات والكلم .

ويجب أن يعلم الشبان أن الجمال كمال فى صورته ومعناه وأن يعودوا تذوق الجمال على هذا الاعتبار ، واذ ذاك يحبون الكمال حبا يدنيهم منه ويعصمهم من فتنة الصور الخالية من معانيها ويعصمهم من عبث الشهوات التى تضللهم فى فهم حقيقة الجمال وتصور لذته »

* وظن أستاذنا المسيو هوستلييه أن سؤالنا يتعدى الى جمال الجسم الداخلى ، فقال « .. كثيراً مايتكلم الفنانون عما

للرسم العارى من القيمة التهذيبية ، والحق أن قيمة الفن العارى فى تحسين الاخلاق تترتب على مايجعلها الفنان تشير اليه وعلى مايكتشفه فيها الناظر .

قد يوقظ التصوير العارى عاطفة العفاف وقد يتعهدها ومع هذا لابد من الاعتراف ـ وأخلاق الناس من نظارة وفنانين كما نعهدها ـ بأن أغلبية هؤلاء الأخيرين يجعلون التصوير العارى يعبر عن شىء آخر غير الطهارة وأن النظار يمعنون النظر فيه لحاجة فى أنفسهم لذلك كانت جناية التمثيل العارى على الأخلاق عظيمة . هل يستنتج من ذلك وجوب وضع حد للتمثيل العارى ؟ يجب أن نعتصم بالحزم لوعورة السؤال فمن جهة قد اضطربت عاداتنا وأصبحنا نألف الرسم العارى بحيث ان رد الفعل الذى كانت تثيره العورة أصبح أقل حدة ومن جهة أخرى فالأفراط فى الرقابة قديؤدى الى عكس المطلوب منها فجوابى يتلخص فيما يلى : يجب ان تكون الرقابة وسطا بين الشدة واللين ويجب المشاهدة واعمال الفكر ومحاولة البحث بادىء ذى بدء قبل أن نميل الى جانب

أو الى آخر ..»

* وأجاب أستاذنا بونامى دوبريه بقوله : « قد يكون ترغيب الشخص فى الجمال سبيلا لاصلاح خلقه ، بأن يرغب فى اكمال الجمال لافى تجاربه الحسية. ولكن تحقيق الجمال قد يكون باعثا للرغبة مذكراً بها ، ولذا كان اصلاح الجمال الحسى قاصرا على الذين يستطيعون فهم جمال الروح والذين يدركون الصور ... »

صلة الوضوء بالجمال فى نظريتنا : يرى أحد أساتذتي أن دعوتى الشبان إلى الجمال كقولى لهم اشربوا كأساواحدةولا تثنوا بينما الكأس تدعوهم الى الثانية فالثالثة فالرابعة ، فالادمان وأنا مع الأستاذ فى فكرته هذه ، لوكنت أدعوهم الى الجمال دعوة حسية ، أما ودعوتى معنوية حتى فى تذوق معانى الجمال الحسى ، فلا أظن أن التشبيه مستكمل لأركانه . وأظننى قرأت للأستاذ أحمد أمين خطرة تقول « .. يظهر أن النسبة ثابتة بين اللذة والألم الذى يسبقها ، فاذا عظمت اللذة المطلوبه ، عظم الألم الذى لابد من اجتيازه للوصول

اليها ـ واذا كانت اللذائذ الروحية عظيمة وطويلة الأمد كان مايحف بها من الآلام عظيما مثلها ، ومن ثم لم يصل الى عظائم الامور الاعظام الناس ، لأنهم هم القادرون على تخطى آلامها . . » ـ ونحن انما نريد بالدعوة الى فهم الجمال ، أن يصل الشبان الى اللذائذ الروحية التى تحدث الاستاذ عنها ووصفها بعظمها وطول أمدها . ونريد فوق ذلك أن يتحملوا للوصول اليها آلام الكبح وآلام المنع اللذين نعتبرهما تافهين بالنسبة لآلام الرذيلة وآلام اقترافها ، وأنى لأعتبر الكأس الأولى المردية ليست النظرة الى جمال حسى ، وليست حب هذا الجمال بل هى شىء آخر اسمه الخطرة السيئة التى تصبح شهوة بترك العنان لها ، وتقوى حتى تصير طلبا باستمرارها وتضحى عملا فاسدا بالمثابرة على ذلك الطلب ، فيستطيع الشاب اذن بقليل من العزيمة دفع الخطرة السيئة وبذا يقدر على دفع مابعدها ، وانما الذى يجعل آلام الفضيلة عظيمة هو ترك العنان للخطرة السيئة حتى تصل الى درجة الطلب السىء فيصبح دفعها مؤلما لأنها مرت على درجات قوتها فجعلت

دفعها صعبا . وبذا ترى أننا بدعوتنا نوفر على الشاب كل هذا بقولنا له كن برىء النظرة ، ومعنى قولنا هذا أن يبعد الخطرة السيئة عن فكره ؛ وفى أبعادها صلاح ، بل وقوة روحه . وفى تدريبه على النظرة البريئة للجمال غذاء لذيذ لها ، فنكون بذلك قد قويناها وأفهمناه معنى من معانى اللذة الروحية يستحيل عليه بعد فهمه أن يسلوه أو أن يرى فى غيره من اللذات أسمى منه أو أعظم وقعا ! ! . .

(٢) يقول استاذنا الشيخ أمين الخولى فى جوابه « .. هل ترانى حين أحاول أن أولى وجه شاب تمرد فيه نزق الشباب شطر الهيكل القدسى يتجه اليه بروحه فى يقين المؤمن وخشوع العباد ، لا أخال ذلك ، بل تجيش فى نفسه وساوس شيطان الجسم وغواية المادة . . . وهكذا لا أجد أثر صور الجمال الآدمية يصفو ويخلص ، فماذا ترى يا أخى بعد هذا ؟ أنا لا أدرى الا أن أقول لك فى ترديد المناظرين ، أن صفت النفس حتى تجد معنى الحب على مثال ابن الفارض ، فالجمال الحسى سبيل أى سبيل للاصلاح الخلقى والا . . ف . . أنت

تدرى... » ـ وجوابي لاستاذى أن نزق الشباب، أو اندفاع الشباب أو امتلاء الشباب بالحياة والقوة ، هى التى دعتنى الى التفكير فى دواء ناجع يتناسب مع الاندفاع ، مع الحياة ، ومع القوة ، ويحول الاندفاع من النزق الى اندفاع حب روحى يسير حيث يسير اندفاع الشباب واندفاع القوة واندفاع الحياة ولم أجد خيرا من الجمال الحسى للوصول الى مداواتى ، فاتخذته سبيلا للمداواة متخطيا وساوس شيطان الجسم محتقرا غواية المادة . . وأظن الاستاذ قد لمح بين كتاباتى عن الجمال دعوة الى فهمه من جميع وجوهه ، فأكبر ظنى بعد ذلك أن الذى يفهم الجمال كما رسمت له خطة فهمه ، يأبى أن يكون مصدر قبح فى قول أو عمل ، ومن كان كذلك فلن تغيره وساوس شيطان الجسم وغواية المادة لأنه يستطيع اذا أصابه منها شر رأن يبعدها وأن يطرحها ويقصيها ، على أنه يعمل دائما على أن يبعد عما يثير فى نفسه هذا الشيطان وتلك الغواية ! !

أما أن أثر صور الجمال الآدمية لا يصفو ويخلص فلا أفهمه .. لا أفهمه لانى اراه يصفو ويخلص ، بل

يصل الى ماهـو أسمى من ذلك ، إذ يبعث فى الروح نشوة هى السلوى وفى القلب طربا هو العزاء . واذا كان أثر جمال صورة فتى أوفتاة يصفو ويخلص فى نفس الاب أو الاخ فلماذا أذن لايصفو أثرهما فى نفس غير الاب والاخ ؟ مادمنا نعرف أن الناس جميعا متصلون بهاتين الصلتين ، وان اسرتين من الاسرات تستطيعان أن تكون بينهما شبه هذه الصلة الروحية بالصداقة بينهما ، فلا ينظر هذا لتلك بعين غير صافية وأن فى الاسرة الواحدة بنات العم وبنات الخال وبنات العمات والخالات يستطيع معظم الشبان أن تصفو وتخلص نظراتهم اليهن ، مع انا نعرف انه يجوز تزاوجهما . الحقيقة انى ارى ان داعى الصفاء هو كثرة الرؤية مع التدريب على البراءة من وساوس الشيطان ، بل مع عدم التفكير فيها . أفلا يستطاع اذن أن نتمرن على الصفاء فى نظرتنا لجمال حسى ؟ .. أظننا نستطيع ، وأظننا نصل اذا حاولنا الى مانبغى من لذة روحية وطرح لغواية المادة ، مادمنا قد اتفقنا على ان هناك نفوسا صافية وارواحا عالية كما ذكر الاستاذ فى كلمته ، وما دمنا قد

اثبتنا أن الصفاء يمكن اكتسابه بالتدريب والمثابرة والنقاء والبعد عن فكرة الدنس ! !

(٣) سببت الكلمه الفرنسية الدالة على معنى الجمال الحسى والجسمى بالعربية ، اجابة من استاذنا المسيو هو ستلييه عن الجمال الجسمانى مع أن سؤالنا يقصد من الجمال الحسى ، جمال الوجه ، على أن اجابة الاستاذ عن السؤال بصورته الغير مقصودة أتاحت لنا فرصة التحدث عن رأينا فى الجمال الجسمانى وبعد الأجزاء الداخلية للجسم عن نظريتنا الروحية ، وأنها وان كانت جمالا فى ذاتها لكنه جمال خارج عن دائرة بحثنا لأنه يتصل بالصلات التناسلية وبالعلاقات الجنسية وباللذة الحسيه ، ولأنها أشياء مادية التأثير لصلاتها بالمادة ، حسية اللذة ، فلا يستطاع أن تكون روحيتها الا فى حالة واحدة حالة التصوير العارى الخالى من اثارة البهيمية ، أى التصوير الذى يرسم أعضاء الجسم كما هى بستر خفى أو ظاهر للعورات الكبرى .

فالكشف عن الساق مثلا ، يرى جمال الساق ..، لكن

لست أنا الذى يقـول ان النظر لساق عار يتجرد عن المعانى الحسية ، لأن نظريتى مبنية على بعد الخاطرة السيئة ، وهنا تقريب لها ، وبقربها يتبعها مابعدها من الشعـور البهيمى . ولـكنى لا أستطيع أن اقول ذلك عن ذراعين عاريين مثلا لأن الذراعين وان كانا داخلين ضمن مايعتبر عـورة للمرأة الا أن بعدهما عن العورات الـكبرى يقلل من قـوة التأثير الأول وان كان فيه بداية لمرور الخاطرة ولان يتبعها مابعدها من اثارة للبهيمية ، كـذلك اللمس لأعضاء الجسم الداخلى خارج عن دائرة بحثنا ، ولا يتصل بنظريتنا الروحيـة ، بل يتنافر معها إذ قد يؤدى هـذا اللمس الى إطالة الفـكر فيـه وفى مايتصل به من لذات حسية ، مايزيد عن تأثير الأثارة البهيمية ويخرج الى التأثير الطـويل فى قنـاع الروح بقناع التفـكير البهيمى المتواصـل . فنحب أن نصرح أن الاعضاء الداخلية للجسم وجمالها وما يتصل بها من لمس ورؤية وغيرهما ، بعيدة كل البعد عن نظريتنا ، لأنها تقرب الخاطرة السيئة مثل مايقربها الحديث السيء أو القراءة لـكتاب سيء ، وهى وان كانت

جميلة فى تناسقها وتركيبها ، إلا أنها مادية التأثير لماديتها . .
أما معنى الجمال فى الوجه والعين ، فروحى التأثير لانه معنوى الجمال ولسنا من دعاة المادة حتى نبحث عن الجمال فى المواد ، ولكننا من دعاة المعنى ، والمعنى قريب الصلة بالروح بعكس المادة القريبة من عالم الحس والاجسام .

ماسبب الاختلاف فى فهم الجمال ؟ يقول Edmund Burke فى كتابه The Sublime and Beautiful

إنا أذا مررنا على القوات الطبيعية الانسانية التى تحكم على الأشياء الخارجة ، نجد أنها الحواس ، الخيال ، الحكم ، العقل ، والشعور ... فأذا أخذنا الحواس مثلا فأنا نجدها واحدة فى الحالة الصحية للجسم ، وبذا كان استقبال الاشياء الخارجة تقريبا واحد من جميع الناس مادامو متمتعين بصحة وعافية فى الجسم ، فالنور نور لعينى ولعينك ، والحلو حلو مذاقه عندى وعندك ، والظلام ظلام لى ولك ، والمر مر لنا معا والكبير الجسم نراه كبيرا معا ، كذا الصغير ، الجامد ، الطرى ، الحار ، البارد ، الخشن ، الآلام ، اللذات ، السرور

الحزن .... الخ جميع الحالات الطبيعية التى يشترك الناس فيها ! ! . . .

تعال للذوق .. كلنا أجمعنا على أن الخل حاذق ، العسل حلو ، والصبر مر .. وكما أجمعنا على وصف العسل بالحلاوة والصبر بالمرارة ، نجمع على أن اللذة حلوة ، وأن الآلام مرة وعلى أن أخلاق هذا مرة وألفاظه مرة وأن الحظ الذى رمانا به سىء ، وعلى أن ذاك الشخص حلو فى أخلاقه وطباعه وعاداته ... فأذا أتى شخص ينقض اجماعنا ويقول أن السكر غير حلو وأن حلاوة السكر مثل حلاوة العسل بلا فارق بينهما ، وأن التبغ حلو ، نحكم على فساد وخلل فى حكمه .

أن سرور الحواس فى البصر ، والذوق واحد فى جميع الناس صغيرهم وكبيرهم ؛ عالمهم وجاهلهم ؟ ! . . تعال للخيال ، أليس هو أفكار سرور وآلام يحضرها الحس ، أليس هو قوة يخلقها العقل من نفسه ، تارة يصورها سارة مرتبة كما وردت للحواس ؛ وأخرى ممزوجة مركبة تركيبا جديدا ؟ ومادام الخيال كذلك تبعه الذكاء ، التصوير والاختراع الفكرى

فكان أصل الالم والسرور لأنه أصل المخاوف والآمال وجميع العواطف المتصلة بهما ! .. فنرى من ذلك أن عقل الانسان يتبع المتشابهات بسرور عن المتناقضات، لأن بالتشابه تتكون صور جديدة ؛ فنجمع ،وننشىء ،ونكبر محصولنا الخيالى... فالسرور بالتماثل موجود فى الجميع ، والاختلاف ليس ألافى التجارب والملاحظة ، فمثلا ترى الشىء حسنا لأول مرة ، ولكنك قد تراه فى المرة الثانية قبيحا ، فليس معنى هذا أن الذوق قد تغير ، بل معناه أن العلم قد تغير .. كنت تجهل الشىء فاستحسنته . . عرفته ودرسته ووقفت على وجوه قبح فاستقبحته ! ! ...

والاختلاف قد يكون لاختلاف وجهة النظر .أمامي وأنا أكتب مائدتان من الرخام ، أنا وأنت نقر بنعومتهما ونسر لرؤيتهما ولكنا ولا شك سنختلف أو على الأقل سنتردد فى تفضيل احداهما على الأخرى .. وهناك الفرق بين درجة الذوق عندما نأتى لنفضل شيئا على شىء أو لنصغر الأشياء التى نحكم عليها بالدرجة لا بالقياس .

على ان الحب ، الحزن ، الخوف ، الغضب ، السرور ، وكل تلك العواطف التى تؤثر على جميع العقول ، لاتؤثر عليها بحالة مسببة لكن بمبادىء طبيعية حقيقية ... فالذوق اذن يتكون من مبادىء سرور أولية للحس ، من ثانى مسرات الخيال ، ومن نتائج القوة العقلية التى تتعلق بمختلف هذه الصلات والعواطف الانسانية والأخلاق والاعمال .

وعندما أتحدث عن الاخلاق وتأثيرها فى الذوق ، نجد أن الواجب الاول لاصلاح ذوق الشبان على بيوتهم ومدارسهم وأصدقائهم وبيئتهم . ذنب جرائم الشبان الخلقية يرجع للبيوت الحقيرة أخلاق صاحبها التى نشأوا فيها ، يرجع لاغفال مدارسنا أمر التهذيب الفنى والتهذيب الخلقى معا . ولا شك أن أصول الذوق واحدة مهما اختلف الناس فى تقدير الجمال ومهما كان الجمال نسبيا فى نفوسهم ، فنريد من نظريتنا أن نوفق بين هذه الاختلافات فى التقدير بين هذه النسبية فى النفوس حتى نستطيع أن نرى هذا وذاك متفقين فى جمال الفضيلة عن اعتقاد وعن ميل أيضا لاعتقادهم وعن اندفاع فيه ... وهذا كما يبدو لى

ليس بالامر العسير لأنا لا نريد أن نتحكم فى أذواق الناس بل نريد افهامهم حقائق الأصول تاركين لهم ولنفوسهم جزئية التقدير ... وبذا تكون عاطفة الجمال متوجهة الى هذه الروحانية التى ندعو أليها ، فيكثر متبعوها ويصبح هذا الشذوذ الذى تراه فيها لقلة أنصارها ، أمراً معمولا به متخذا ناموسا عاما.

هل الحب حقيقة أم ظاهرة ؟ نستطيع أن نقسم الحب الى أقسام ثلاثة ، حب بعثه الاعجاب ؛ وحب بعثته الألفة والتواد ؛ وحب بعثته الرحمة والعطف . ونحن فى هذه الثلاثة أقسام نشعر انها جميعا متصلة بمركزها الرئيسى الاعجاب ؛ أذ أنه يتناولها جميعا بدرجات مختلفة يقوى بها الحب أو يضعف حسب مايمده من توثيق أو ينزع منه من ثقة . وللاعجاب نتساءل عن الحب وهل هو حقيقة أم ظاهرة ، ولفهم حقيقته يجب أن نتساءل كم من الناس أحببنا معجبين وكم من الناس خفق لهم قلبنا حباً وهم بهذا الحب لايشعرون ، وكم من الناس تسرنا رؤيتهم وتطربنا سعادتهم وهم لايدركون ، وكم من الناس يمضنا شقاؤهم ويدمى قلوبنا فراقهم وهم لهذا لايفهمون؟

فما مصدر هذا الحب ، وما مصدر هذا العطف، وما مصدر هـذا الاعجاب ؟ أهو حقيقة فى الحب كامنـة ، أم هل هو ظاهرة فيه غير بادية ؟ لاريب فى أن الحب حقيقـة مطلقة نشعر بها جميعا وكثيرا مانخفيها ، وحقيقتها لايؤثر عليها فيض الحب واظهاره ، كما أن حقيقة الجمال لايؤثر عليها قوته وظهوره فى أشكاله المتعددة .

نقول ان الحب حقيقة لاظاهرة، لان حقيقة الشىء ما كمنت فيه واستقرت سواء عرفها الناس أم لم يعرفوها، وحيث أن حبنا لكثير من الأشياء ولكثير من الآدميين ولكثير من الفعال كامن فى قلوبنا ومستقر فيها سواء أبديناه أم لم نبده ، وحيث أن الظاهرة فعل يحوى معنى الظهور ، وهو فى الحب لايحمل دائما هذا المعنى ، وحيث ان الحب الصادق للشىء لايتغير بينما الظواهر تتبدل بتبدل ظروفها . فالاعجاب وحـده ظاهرة تتغير ، لـكن الحب المستقر فيه معنى الثبات والـكامنة فيـه معانى اعجاب كثيرة مركبة لايستطاع معرفة كنهها ، ولا مما أتت وألى أين تصل ، والمالـكة لحبات أفئدتنا سواء أردنا

أم لم نرد أذ يحوى سلطانا ليس للارادة عليه من سبيل .
أقول لكن الحب ومافيه من معانى ، حقيقة مطلقة لايستطاع انكارها ، وهو حقيقة لا ظاهرة لأن للظواهر نقصها ولها بطلانها ، لكن الحب يأبى ألا الاستحواذ على حبات القلب كله وخلجات الفؤاد جميعا ، ويأبى ألا الاندماج بالنفس حتى يصبح جزءاً من حقيقتها ! !

* ونستطيع أن نضرب مثالا تدرك منه أن الحب حقيقة ، بان نذكر « فاروقا » وحبنا نحن المصريين له ، فأن هذا الحب القوى العميق الذى تخفق به قلوب الملايين المصرية من فتيان وفتيات وشيب وشبان ، هذا الحب الصادق العميق الذى بعثته فيهم شخصية المليك المحبوب الجذابة ونفسه العالية الكريمة وخلقه الراضية المرضية ، والذى قواه فيهم الأمل العذب فى أن تنال مصر كل الخير على يد فتاها الذى أحبها والذى يصرح بهذا الحب فى قوله وعمله ويرى أن مجده من مجدها وفخره من فخرها ، وأن يبادلها حباً بحب واخلاصا باخلاص وولاء بولاء ، هذا الحب القوى الذى ربطته بناصلة

روحية نبيلة كريمة لاشك فى أنها تتصل بالاعجاب بروح مليكنا الشاب ، بالاعجاب بنفسه المطمئنة وبقلبه المملوء ايمانا بالله جل جلاله وثقة به سبحانه فى ان يتم نعمته عليه بان يكون لحب مصر له مظهر خارجى بدا ويبدو فى كل مناسبة وظهر ويظهر عند ذكر ماوهبه الله من أخلاق وما أنعم عليه من كريم الشيم وجميل المعانى والصور ، ولقد شعر « فاروق مصر » بهذا الحب المتجلي يوم استقبلته مصر عند توليه عرشها فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٧ ، وشعر كل الشعور بهذه العاطفة القوية النبيلة يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ يوم أنعم الله عليه ببدء مباشرة سلطته الدستورية ، وأنعم الله على مصر بان اتم عليها نصره بسطوع شمس هذا اليوم المبارك السعيد .

ولقد شعر كل من سمع فتى مصر الأول وحبيبها النبيل يحلف يمينه الدستورية ، بهذا الحب يملك عليه مشاعره ، ولقد ظهر لهذا الحب مظهر خارجى كريم من التهليل والتكبير ومن دموع الفرح تراوحت بين محاجرنا والأحداق ثم نزلت على الخدود برهانا صادقا لهذا الحب ، ومن خفقان القلب وماعهدنا

القلوب تخفق الا اذا أحبت . فاذن هى حقيقة واقعة أننا نحب «فاروقنا» وهى حقيقة واقعة أننا أقوياء فى هذا الحب، وهى حقيقة واقعة كـكل حب ، ولـكن مظهر هـذا الحب مابدا منا وما يبدو من مظاهر الطرب الروحى لرؤيته والطرب الروحى لسماعه والطرب الروحى كلما وفقه الله لعمل نبيل أو لقول كريم

* ولانا فى معرض ذكر حقيقة حب «فاروق» كمثال لان الحب حقيقة ، نذكر أن الحب ـ ككل حقيقة ـ له عـدة مظاهر خارجية تنم عنه ، فقد استعرضنا هذه المظاهر فى بحثنا عن الحب ، أو بالاحرى استعرضنا أمثلة منها ، وأنا لنذكر ظاهرة جميلة كمثل لهذا تتجلى فى شباننا ـ عدتنا للمستقبل اذ يجدون لذة كبرى فى حفظ صورة المليـك المحبوب وفى التفنن فى ايجاد اطار جميل لها وفى ذكر اسمه النبيل « فاروق مالك أفئدتهم وحبيب قلوبهم، ذكر حب وولاء واخلاص ، كمظهر لحب «فاروق» تلك الروح العذبة التى كأن توماس كارليل فى مقاله شكسبير نا قد عناها بقـوله « روح عـذبة تنادى صاحبها من أعماق قلبك من غير أن تشعر بيا أخى » ، وأن

هذا المظهر النبيل ليدعو الى القول ان تلك الشخصية العذبة بعثت فى الشبان روحا جديدة نبيلة هى من مآثر مليكنا العزيز ومن أياديه البيضاء على مصر ؛ لان حب مليك مصر حب لعلم مصر وحب لمصر ؛ ولان أحبهم إلى مليكهم أحبهم إلى مصر وأقواهم وأكثرهم خدمة لها ، وحب مليك مصر حب لصفاته النبيلة من عطف وصلاح ووفاء ونبل ، وكفى شبان مصر شرفا أن يقتدوا بمليكهم فى صفات النبل والشرف التى ترفع قدرهم وترفع مصر إلى أعلى عليين .

لماذا ألفت محاسن الجمال ؟ عرفت صديقا كنا اذا تلاحظنا تساقينا كأس المودة ؛ واذا تصامتنا تناجينا بلسان الثقة ؛ وصل الحياة بالحياة ؛ وجلب الى روحها وخلط بى طيبها وحلاوتها ؛ تعاهدنا أن نبحث عن الشعور الصادق والثقة التى لا تتناهى ، وعن صراخ القلوب الوفية والحان الصداقة الصادقة ، وأن نحتقر كل ود مزيف ، وكل جمال مزيف ، وأن نقدس كل ود صادق وكل جمال حقيقى . . ثم رحل عنى هذا الصديق الكريم الى حيث لا يرانى ولا أراه ... فرأيت

محافظة على عهده أن أبحث عن الجمال الذى تعاهدنا على البحث عنه !! .. حبا للبحث وتقديسا لذكرى راحل عزيز . . . ثم وجدت أثناء بحثى عن الجمال ، أن فى الاسماء المعنوية يختفى داء معنـوى ، وأن هناك جوعا يغذى .. عطشا ينعش ويروى .. ألما يسر .. حزنا خير من سعادة .. أسفا هو عين السرور ، وان فى أعماق الليل نهارا .. والموت باب الحياة .. وليس من رسول غير الحكمة والتجارب تفهمنا تحقيق الحق فى هذه المتناقضات وليس غير المتألم والحكيم يفهمنا اياها . .

كذلك الصدق ذو وجهـين . الصدق ينجى ولـكن ليس هو الـكذب الذى يغضب الناس . بل الصراحة . . . فتذوقت منهم ودا هو الرياء بعينه وتجرعوا منى قسوة فى صد هذا الود المزيف ! ! ! . .

وفهمت أثناء جهادى فى البحث أن ليست رغبة الطبيعة هى التى تحيى آمالنا ، وليست هى رغبتها التى تميتها ، بل هى رغبة واحدة مبعثها نحن .. وكذلك الحق ، هو سيف قاطع ان أخذته من حـده قطعك ، وان أمسكت به من مقبضه

قطعت به ، وكذلك هو الماء فى كأسه يروى ، وفى البحر يغرق ! !

وهكذا فهمت أن المبادىء الخلقية والمعنوية تصبح فى حالات خاصة باعثة الفساد المعنوى.. فالتواضع جميل وقبيح هو جميل ان لم يحط من قدرك ، وقبيح ان أطمع الجهال فيك ! !

وليس من شىء كالبرودة غير غياب الحرارة..فالبهيمية والشر هى ضد الشرف وعدوة الجمال . ونحن نقاومها فى هذا الكتاب باسلوبنا وسبيلنا .. نحن نداويها بالجمال . . والكثير من القراء سينكرون سبيلنا اذا مابدأوا الكتاب ولكننا سننتصر عليهم اذا ما انتهوا منه،وسيخرجون بفكرة واحدة هى ان الجمال والحب مثل النار ..الكهرباء.. البخار . . قوى نافعة ، تفسد حينما تديرها يد جاهلة ، غير أنا أفهمناهم كيف يديرونها حتى يكونوا ذوى دراية بها فيستفيدون منها وتصلح نفوسهم بقوة تأثيرها..وحسبنا ذلك. اذا وصلنا الى نتيجته!!

هل هناك صلة بين الجمال والسقوط ؟ تحب الفتاة الفتى..

يغريها فيعجبها اغراؤه متغافلة عن كون الاغراء اثما . . تهاجم عوامل غرامها حصون رشادها فتدكها ! . . تحبه بطهارة قلب وحسن سجية . . يبسم لها فتفتك بها عيناه الجميلتان ـ كما تراهما حين يبتسم ، فيشغفها حبا !! . . . يبعثها حبها الشديد له أن تخسر كل شيء لارضائه أذ تعده فاتح قلبها . . لاتعرف من الحب غير ابتسامة عذبة من حبيبها ونظرات لاتتعدى أول الامر التعبير عن مكنونات فؤاديهما . . يبدأ حبها اشتهاء رؤيته ثم تتبعه رغبة منه فى لمس يدها وضغطه عليها ثم رغبته فى أن يضمها ، فلا تبتعد أو تعارض ، فيندفع نفسه المتقطع من اندفاع شهوته الآثمة التى لم تكن تعرفها . . . تلتهب وجنتاها بنار حبه المصطنع . . يعلو صدرها ويهبط . . يضمها بذراعه . . ضم . . قبلة . . ثم لاتدرك ماذا حدث . . . وبعدما تفيق تمتنع عن رؤيته ، وتحرم على نفسها لقاءه ، وتحاول نسيانه . . لكن تضعف فترجع ألى وجدها الأول أكثر من قبل . . . ثم يتغلب عليها النذل . . فيسقطها فى الهاوية التى قدر لها ! !

* هذه قصة كثيرات يخدعن مثل ماخدعت ، ويسقطن

مثل ماسقطت ، ويندبن شرفهن مثل ماندبت ، فلا يجدن شرفا ، ويطلبن ماحسبنه حبا ، فلا يجدن حبا ، بل يجدن شبانا ذوى خلق سيء دخلوا فى ميدان سموه حبا . دخلوا متأثرين بشهوات جسدية يريدون اطفاءها .. فوجدوا فتاتنا وأمثالها من اللاتى كن يحسبن أنهن حبيبات فأذاهن مباول وكن يحسبن فى أحبائهن عقولا وشرفا فاذا لاعقول ولاشرف .. فقنعن بما حسبنه حبا . . فأذا لاحب .. فرجون الابقاء على العفاف فاذ الاعفاف .. بل غرام باللحوم الآدمية ، والنعاج المصبوغة التى قهرت على أمرها فأضحت مباول ، وكانت تبغى قلوبا ، فألفت وحوشا ومجازر ! ! ..

الناس جميعا غير جميلى الخلق ينظرون للجمال نظرتهم للتماثيل الآدمية ، يتدرجون فى نظراتهم أليها حتي تهيء لهم نظراتهم أمرا فتتدرج عاطفتهم بين أنخاذهم ، فيعملون ألى الوصول أليها ، فأذا ماوصلوا ، اضطجعوا معها فقضوا لذتهم ثم رجعوا بصفقة المغبون . . وهكذا تتكرر مأساتهم كل يوم فى تماثيل من لحم ودم ، تتكرر فى تماثيل آدمية لها ثقل التماثيل الصناعية

وبها مساحيقها وزينتها الكاذبة !! . . وان لم تصدقنى فانظر لبائعى أعراضهم فتجدهم جميعاذوى قبح فى أشكالهم التى شوهتها المساحيق ، وفى أرواحهم التى أفسدتها الدنايا ، وفى أخلاقهم التى أسقطها الفسق ، فلو استطاع شبابنا ان يفهموا الجمال لاستطاعوا أن يدركوا أنه قبيح أن ينظروا لتلك النعاج التى تعرض نفسها فى « سوق البهائم » لتصيد أمثال صاحبنا من الذين لايفهمون الجمال ، من الاشقياء التعساء المريقين بآثامهم لدماء فضيلتهم ودماء أجسامهم ورشادهم مدنسين لأرواحهم .. فينظرون حيث ينظرون . . ينظرون لتلك الدمي . . . ينظرون لتلك الصور البشعة التى يحسبونها جمالا . . ينظرون . . ثم تتحرك بهيميتهم لا لأنهم ينظرون ألى جمال بل لأنهم ينظرون ألى جمال محطم ولأنهم لم يفهموا الجمال فعدوا هذه التماثيل القذرة جمالا . . تجرهم هذه البهيمية فى النظرة الآثمة لجمال آثم ، ألى ماهو أشنع منها ، حيث تودى بهم ألى السقوط وتتكرر هذه المأساة منهم كل يوم وفى كل لحظة ، وهم ناعمون بلذتهم المتوهمة خمس دقائق أو عشر يدفعون ثمنها غاليا من

كرامتهم وشرفهم ودمائهم .

وكلما لمناشاباً على حبه من لايستحق حبه من فتيات السوء وفتيانه يجابهك بقوله ، أنه الحب يدفعه ألى مركبه الخشن ، فأقول ، لا ! . . . .

كيف ؟ ... الأمر سهل ياقارئي العزيز ؛ لأن للحب دوافع للنمو ودوافع للنقصان فتستطيع أن تنمى الحب الشريف وتستطيع أن تنقص بل أن تمحو الحب الفاسد ، تستطيع ذلك لأنك تسيطر على قلبك وكذب من قال خلاف ذلك !! .. تقابل شخصا ما ، تشعر بميل قلبي أليه ، هذا الميل هو حب .. فجرب لترى أنك تستطيع تنمية هذا الحب فى نفسك بشغل فكرك به ... كما أنك تستطيع أماتة هذا الشعور فى نفسك نحوه ، بنوع من العزيمة فى طرده عن فكرك وبشغل نفسك كلما عاودتك الذكرى بالرياضة أو الاطلاع أو الموسيقى أو بعملك الخاص .... فتلفى نفسك بعد ذلك غير مهتم به اهتمامك الأول ... فجرب ياسيدى المحب وامح كل أثر من آثار محبوبك الساقط من فكرك ...

تلفه قد أضحى عاديا ، بل ربما أقل من العادى ...

* ينكر الشبان فيما ينكرون الحب الطاهر (١) ، وبذا

---

(١) فى رافائيل تأليف لامارتين وتعريب الاستاذ أحمد حسن الزيات ص٨٢ تقول جوليا لرافائيل «... هل تريد أن تكون الصلة بين سعادتى وسعادتك هى هذه الشهوة العاجلة ، والنشوة الزائلة ، وهى تمتع الوجدان وتسر النفس لو تركناها أكثر مما تلذ الجثمان وترضى الحس لو قضيناها ؟ ألا تعتقد أن حبنا يكون أمتع وأرفع وأبقى وأنقى مادام مصونا فى خدر العفاف نازلا فى مناحى الخلود حيث لا يتقلب الحدثان ولا يعد والموت ؟

فأذا تدلى أنى اللذه الحسية الوضيعة ، وتدنى ألى الشهوة الدنسه الحقيرة ، فقد كبرياءه ونماءه وبقاءه .. ومع ذلك أذا بدا لك أن تطلب منى فى ساعة من ساعات الشك ، أو فى سكرة من سكرات الحب ، هذا الدليل على انكارى لنفسى وايثارى لك ، وفنائى فيك ، فسأبذل من نفسى هذا الدليل ، لكن ثق بأنى لا أضحى بكرامتى وحدها ، وأنما أضحى بكرامتى ووجودى ،

ينكرون الحب . ومن هؤلاء صاحبنا، لأنه حينما أغرى وحينما جازت حيلته على الفتاة المسكينة وارتكب فعلته الشنعاء فأصبحا جسمين صيرهما الاثم واحدا ... تفرق قلباهما ... كل ألى وجهته ... الفتى الى حيث يخدع أخرى .. والفتاة الى حيث تندب عفافا ضائعا .. أو الى حيث يخدعها آخر ...

وأنك حين تخطف طهارة قلبي ونزاهة حبي تخطف معهما نفسي وحياتي وروحي ، وأنك حين تظن أن سعادتك أصبحت في يديك، وأن حبيبتك صارت بين ذراعيك ، لاتجد في يدك ألا خيالا ، ولا تضم بين ذراعيك ألا تمثالا .... » فيجيبها رافائيل وقد تلاشت بهيميته وتنبهت روحه لجمال ذلك الملاك الكريم قائلا في ص ٢٠٢ « .. انما جعلني القدر أحب فيك الجمال الروحي الخفي المجسد ، لا تلك المرأة التي تضم وتشم ثم تتصوح وتذوى بين الاحضان الفانية . ألم تستطع تلك النار القدسية التي تتقد في قلبي وجسمي ان تأتي على هذه الشهوات الباطلة والنزعات السافلة ؟

الم تحولني تلك النار إلى لهب صاف كقلبك نقي كحبك... »

والمكان الذى سقطا فيه ومثلا دور الشيطان يشهد كل يوم عهودا جديدة ، هي عهود الحب الكاذب ...

*قال الله تعالى فى قرآنه الكريم على لسان نبيه عيسى عليه السلام « ان تعذبهم فأنهم عبادك ، وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم » ، وقال مصرحا بضعف الانسان « خلق الانسان ضعيفا » وقال على لسان كليمه موسى عليه السلام « ان هى ألا فتنتك » ـ فالشهوة موجودة فى الانسان غالبة على عقله مقدرة عليه أزلا ، أرسل الله تعالى الرسل وبعث الانبياء وأوجد المصلحين والحكماء ليقوموا بواجب افهامهم الناس مايجب ومالا يجب . والجمال فى ذاته سمو ، لكن الناس اتخذوه مراتع لشهواتهم وسبيلا لقضائها فدنسوه وأزروا به وجعلوه وهو أسمى مافى الوجود مقرونا بالشهوة أحط مافيه ، فكان واجباً علينا افهامهم التضاد بينهما وبعد صلتهما حتى يفهموا الحسن من غيره والقبيح وضيره ، وفى ذلك افهام لسمو الجمال على حقيقته ووصول بهم ألى مرقاة الفضيلة من هذا الفهم ! ! . . .

* هل من يدعو إلى الروحانية خادع ومخدوع ؟ يعرف المشتغلون بالفلسفة أن القلب (١) هو الروح المميزة للانسان لا ذلك العضو اللحمى الموجود لجميع الحيوان ، وان محل الكليات هى النفس الناطقة ومحل الجزئيات المشاعر الظاهرة والباطنة . ويعلمون أيضا ان محل الكل هو النفس ألا أن ادراكها فى الكليات بالذات وفى الجزئيات بتوسط الآلات ونريد للاجابة عن هذا السؤال أن نشركك معنا فى درس فلسفة تهذيب العلامة سعد الملة بتوضيح المعانى التى تتصل بموضوعنا : وأولها العقل الذى يمنع من الخداع فى مثل هذه النظرية لأن معناه القوة الحاصلة عند العلم ببعض الضروريات بحيث تتمكن بها من اكتساب النظريات وانه القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة ، ومادامت القوة الحاصلة عندنا المميزة لنظريتنا عن ضدها ، تقول أن الانسان يفنى جسما

---

(١) راجع القسم الثانى من التهذيب العلامة سعد الملة والدين مسعود بن عمر التفتازانى

ويبقى روحا ، وأن لذة الشر قصيرة الأمد طويلة الندم بينما لذة الخير طويلة الأمد طويلة السرور والنشوة ، وأن لذة الجسم تفنى بفنائه ، بينما لذة الروح تبقى ببقائه ، فليس فى دعوتنا الى الروحانيات أى مخالفة لناموس العقل البشرى ، لأن العقل وهو عند الفلاسفة نوريضىء به طريق يبتدأ من حيث ينتهى أليه ادراك الحواس ، يدعو ألى ما أدعو اليه

بنا كيفية نفسية قوية اسمها الأرادة ، تفارقها الشهوة ، الرغبة القوية للأمور اللذيذة ، وتقابلها الكراهة تغاير النفرة وهى شديدة التعلق بالقوة الادراكية كشدة تعلق الشهوة بالطبيعة الحيوانية ، وفى الشهوة اعتقاد نفع أو ميل يتبعه أى اعتقاد بنفع كما أن الكراهة نفرة تعقب اعتقاد الضر ... ترى من ذلك ان هناك تضاداً بين ميلين ، تضاداً بين رغبتين ، فأذا رغبنا فى نظرية اللحم ، أبغضنا نظرية الروح ، وبالعكس وهنا أما أن نفهم اللذة الروحية فهما مضاداً للذة الجسمية ، وأما أن نخلط بينهما فتضيع الحقائق النفسية فى هذا الخلط .

وأنا أميل ألى أن أفصل اللذتين وأن أقصر لذة الجسم

على الصلة بين المرء وزوجه ، وفيما عدا ذلك فيجب دخوله تحت اللذة الروحية ... وبذا ترى أن هذا الفصل أكثر صراحة وأكثر ملاءمة للخلق الكريمة وأكثر بعداً عن الخداع ، لأنا نريد أن يريد الشبان اللذة الروحية فيؤثروها على غيرها فتحسن أخلاقهم بها لأن بحبهم أياها منعالاجتماع ارادتهامع ارادة ضدها . ولا بد لادراك معنى الروحانية فى الجمال من قوة نصل بها ألى معنى المدرك ، وهذه القوة هي الحس فى الادراك الحسى والبصيرة فى النفسى . والوصول - كما قال صاحب الصحائف - هو الادراك والحصول هو تمثل حقيقة المدرك . ومن هذا نرى أن الحاسة اذا تأثرت عن المحسوس ارتسم مثال حقيقة فيها ، فيدرك المحسوس وتلتفت النفس أليه ، ولما كان الجمال أكبر مؤثر فى الحواس رغبنا أن تدرك النفس تأثيره على حقيقة روحية فتطرب له بلا نزول ألى اللذة الحسية ، وهذا هو أرقى مراقى الاصلاح الخلقى بعيداً عن أن يكون الداعى ألى تذوقة خادعاً أو مخدوعا !! ..

لماذا نقبل ؟ فسر ابن سينا ظاهرة التقبيل لما نعشق

ونحب بنزوع النفس الى أن يختلط نسيم مبدأ فاعليه نفسانية وهو القلب بنسيم مثلها فى المعشوق ، فتشتاق ألي تقبيله .. وهنا ليس المعشوق مايفهمه الناس من تأثير مظاهر خارجية بل هو مانفهمه جميعا من تأثير المؤثرات القلبية ،فالأب والام يقبلان طفلهما ، والطفل يقبل أبويه وكلنا يقبل الأطفال والصديق عند مقابلة حارة لصديقه يقبله ، وعند تهنئته بأمر جليل يقبله ، وعند شكره على قيامه بعظيم أمر يقبله ، فالقبل ليست الا دوافع يبعثها الاعجاب والحب معاً (١) !! .

والقبلة فى جميع مظاهرها المختلفة هي الروح ترفع ألى الشفة فتضع فعلة ظاهرية تعتبر عن حقيقة روحية ، نسميها

---

(١) وندكر ان شيخا تقدم للمرحوم سعد زغلول باشا أيام تأليف الوزاه الشعبية واحتفال الامة بها قائلا « انا ياحبيبى عايز اشوفك » فقال سعد « ادينى اهه » فقال الشيخ «وعايز أبوسك» فقدم له سعد خده فقال الشيخ بعد ماطبع قبله لاعجاب ان هذه هى آخر أمنية له فى حياته

قبلة ، تختلف معانيها باختلاف لهجاتها ونطقها ، فهى بسرعتها بمجرد مرور الشفتين تقول شيئا مختلفا عن هذه الكلمة التى تطول ، وقبلة أبوية على الجبهة تختلف عن تقبيل الخدين عند الأسر الفرنسية ، وقبلة الاحترام على اليد ، تختلف عن قبلة الوداع على أطراف الأصابع ؛ وقبلة الحب تمتاز بطولها وباستمرارها . . . فالفم اذن هو باب فكرة تصدر الشفة منه صوتا فكر فيه العقل ، والقبلة اذن فى الحب تحوى كل هذه المعانى التى ذكرناها من حب واعجاب واحترام فتتقابل الشفتان بدل شفة وخد ويكون تقابلها العلامة التامة لاتحاد قلبى محبين تذوب كل الكلمات الحبية الممكنة فى كلمة يجمعها هذا التقابل وهو (القبلة) ، ومادمنا قد رأينا للقبلة هذه المكانة من الاجلال فأنا يجب أن نجردها من تلكم المعانى الحقيرة التى تتوارد ألى افكار الشبان عند ذكرها ، ومادام فى الشبان نقص ، ومادام بهم نزق فأنصح لهم صادقا أن يبتعدوا عنها مالم يثقوا من خمود الشهوة والبراءة من التهمة عند التقبيل . ونحب أن نرى اليوم الذى يكون فيه التقبيل

دالا على معانى القلب لا على غيرها من حقير المعانى التي ينزع الشبان أليها ، كما أنا نحب أن لا نرى اليوم الذى يتغلب فيه خوفنا من جراثيم الأمراض على شجاعة تقبيل من نحب !!...

الحب البرى ، والجمال نظريا وعمليا : الصلات أما ان تكون روحية أو مادية ، والماديات تحول بين الصلات الروحية والظهور وتؤثر عليها وربما محتها ، والصلة الروحية كما نعرفها هي حب ، وهى فى جميع المعنويات لا تظهر الا اذا خلت من المادة فمعنى الصداقة مثلا لا يظهر الا اذا أخليته من تلكم المظاهر المادية البحتة التى أظهرها فى شباننا التودد الكاذب لأمر مادى ، كأن تكون فلانا المالى فيتوددون لمالك ، أو قريب فلان العظيم فيتقربون اليك لهذه القرابة ، أو فلانا الجميل سىء الخلق فيسعون اليك لغرض فى أنفسهم ، غير عابئين بشرف النفس ولا بحب القلب ؛ وغير مكترثين بالصلات الروحية التى تطلب الصداقة لها ، فيصعب على هؤلاء تفهم نظرية الحب البرىء للجمال ؛ لان نفوسهم لا تقبل الا الماديات بل ولا تفهم غيرها .

لذلك ترى أن الصلة بينك وبين الجميل - حسيا أو معنويا - لا تؤثر فى شعورك وذوقك وروحك الا اذا خلت من الاغراض المادية ، وأظهرها فى حالة الجمال الحسى ، البهيمية ، ذلك لان انصراف الفكر الى الغرض المادى يحول بينك وبين سحر الجمال الروحى . . . ومانقوله عنك نقوله عن الجميل نفسه ، لانه لايغذى روحك بسحر الجمال الا اذا ارتفع عن الغرض البهيمى وعنى بروحك يرفعها ونفسك يسمو بها وقلبك يطربه ! ! ...

ميل الصداقة : نذكر الحديث الشريف القائل « الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف ، وماتناكر منها اختلف » وهذا الحديث يفسر لك ماترى فى نفسك من ميل لأشخاص قبل معرفتك أياهم ومن بغض لآخرين قبل اتصالك بهم ، وهذا الميل وذياك البغض يجب أن يقدر قدره لأن له صلة كبرى بما سيكون بينك وبين هذا الشخص أو ذاك من صلات ، وقد أنبأتنا التجارب ودلتنا الفلسفة على أن خير الصلات ما كانت الروح باعثة لها ، وما كان الميل من مقدماتها

ولذا أبغض أن أكون واسطة تعارف ألا فى حالة واحدة ، فى حالة أذا وجد تجاذب من أحد الطرفين أو رغبة من كليهما وفى هذا حكمة أن الروح تناجى الروح والقلب يناجى القلب فأذا مال شخص لآخر وكان هذا الميل بريئا من الماديات فثق كل الثقة أن بالآخر نفس هذا الميل وبنفس درجته ، وعلى ذكر الماديات أقول إن وجودها هو السبب القوى فى ان يكون شخص ما محبا لآخر بينما الآخر يبغضه بغضا شديدا . ولقد ذكرت أن وجود الغرض المادى فى حالة وجود الجمال الحسى مبعد للصلات الروحية المفروضة فى الجمال وهنا جواب مبدئى عن سؤالك « هل هناك عيب أذا أنا صاحبت أحد اخوانى اذا شعرت من نفسى ميلا أليه ، وهل هذا النوع من الصداقة مضر وشر أم هل هو خير وهل يصح لى أن أستمر فى هذا النوع من المعرفة أم أتركه » لأن الذى يستطيع أن يجيب عن سؤالك هذا هو أنت نفسك ، لأنى لم أدخل الى أعماق قلبك ، لم أدخل الى أعماق نفسك لأتفهم ما الذى بعث حب فلان فى قلبك ؟ هل هو حسن صورته فحسب أم هل هو

تلك الصلة الروحية التى حدثتك عنها ؟ على أنه قد يكون حسن الصورة سببا فى حبك ولكن خطر حسن الصورة هذا موجود حتما فيما اذا كان « صاحبك » حسن الصورة دنىء الخلق . وكذلك ذلك النوع من المصادقة المندفعة من جانب واحد والتى أؤكد أن خطرها أكبر من نفعها بل هى مردية حتما أذا وجد الاندفاع فى الميل لمجرد ذلكم الجمال الحسى . ولكن قد يوجد أشخاص بهم هذا الجمال الحسى من جمال الوجه ، وهم مع ذلك متصفون بصفات جميلة من مواهب وخلق وروح ، وأنا من الأشخاص الذين يثقون بأمثال هؤلاء لأن حسن صورتهم يؤدى بهم كما قال ابن سينا فى معظم أحوالهم الى محاسن الأعمال التي منها الوفاء الذى هو أسمى مايطلبه الصديق من صديقه — وأذكر كذلك اعتراضا آخر على مصادقة شخص ما لمجرد حسن صورته ، أو لمجرد عاطفة الاعجاب بالشكل ، ذلك هو أن هذه المصادقة أنما أتت عجلى من غير اعمال فكر أو بحث فى خلق أو مواهب أو مبادىء ، وهي فيما غير ذلك مندفعة يدفعها الاعجاب ،

الاعجاب القوى بسحر عينه أو بجمال تثنيه وغير ذلك ، فيقنع هذا الاعجاب الروح ، فيعميها عن نقائص « صاحبنا » وبذا يرى نقائصه بدافع الحب محاسنا ؛ وفى هذا من الضرر مافيه

ثم أرى وجوب أن أذكر لك ، الشك ؛ نعم الشك الذى يعترى النفس حينما تندفع هذا الاندفاع ، أذيشك الشخص فى محاسنه ويرى محاسن « صاحبه » فقط هى المحاسن ومساوئه كذلك محاسنا ـ شىء آخر ، هو شرف النفس ، النفس الشريفة تأبى أن تذل فى حب ممتد من طرف واحد هو طرفها ، منجذب منها فقط غير منجذب أليها ، والاندفاع يقهر هذا الشرف ويضعفه وفى هذا من الخسة مافيه ، اذن نصحيتي أليك أن تحب الجمال حبا جما ، كما يدعو أليه كتاب مملكة الجمال ، متفهما ماجاء بالكتاب من الصلات الروحية ، مندفعا بلا وقوف وبلا تردد فى حب ومصادقة من ترى فى نفسك ميلا أليه ، أنما لكى تتحقق من براءة هذا الاندفاع ومن خلوه من التهور يجب أن تمتحن ميل صاحبك الذى ملت أليه وتستطيع امتحان ذلك بطرق مختلفة تدركها بقليل من

الذكاء بنظرك ألى عينيه ، لأن فى العينين كل المعانى الخفية واذا وجدت ذلك الشخص الذى تشعر بميل صادق برىء وبمناجاة روحية بينك وبين روحه وبين قلبك وقلبه ، وترى فى نفس الوقت هذه المعانى موجودة عنده . أقول أذا وجدت هذا الشخص فاحرص عليه وصادقه وليكن حرصك عليه أقوى من حرصك على نفسك ، لأنك حينذاك تكون قد وجدت ثمينا ، لأنك وجدت صديقا والاصدقاء فى الناس قليل ، ولأنك وجدت شقيقا لروحك وأشقاء الروح معدومين ، ولا يحول بينكما حسن صورته ، فحسن الصورة من أقوى الدوافع للمحافظة على العهد ! !

هل فى الجمال الحسى تعقير؟ انه وأن كان يصعب على كثيرين فهم معانى الجمال وسحره ، الا أن هذه الصعوبة ليست آتية من ناحية التعقيد ، بل من ناحية فهم الجمال وادراكه ؛ لان فكرة الجمال كما قلت لا تحتاج لاجهاد لفهمها ، والا كانت غير جميلة ، فاقدة لسحرها ومبعث فتنتها (١) فالفرق بين

---

(١) بعكس هذه النظريه أستاذنا الدكتور زكى مبارك اذ يقول

شخص وآخر فى فهم الجمال ، لايأتى من الناحية الحسية ، بل يدرك بالناحية المعنوية له ، فجمال الخطرة أو المشية أوماشئت من نظرة ، ليست جمالا ، اذا كان صاحبها غير جميل فى خلقه لانها تتحول اذ ذاك إلى دواعى بهيمية تفقد الجميل سحر الطهارة والدعة فتفقده سر فتنته ! ! . .

فى كتابه الموازنة « الجمال نوعان : معقد وبسيط ، وأريد بالجمال البسيط ذلك النوع من الوسامة الذى يدركه اكثر الناس ، والذى يعرف بتناسب الاعضاء ، وهذا النوع فى سهولته وبساطته يشبه الألوان الأخاذه التى بهش لها صغار الاحلام من النساء والاطفال . اما الجمال المعقد ـ وما اروع الجمال المعقد ـ فهو ذلك النوع الخطر الذى لايفهمه إلا اصحاب الاذواق ، وهذا النوع من الصباحة لايرجع الى فتنة الخدود ، وسحر العيون ، وانما يرجع إلى ما هو أخطر من ذلك ، يرجع إلى دقائق من الحسن ، وغرائب من الملاحة ، لايعرف تأويلها غير الراسخين فى علم الجمال . حدثنى بربك كم فى هذه « الاعداد » التى تراها فى طريقك ممن يتذوق جمال اللفتة والخطرة

على أن الجمال لايعقد ، بل الذى يعقد هو الحب ، والحب معقد لأن المحب لايستطيع أن يفهم أى ناحيـة من مناحى السحر ملـكته؟ وأى جارحة من جوارح الروعة فتنته فيتعقد حبه ويحاول أن يتفهم أسرار هذا الحب فلا يستطيع أن يرد على قلبه جوابا ... ومبعث هـذا الحب ليس الجمال — وان كان أداته ـ بل هى صلات روحية ، لانستطيع تفهمها ، ألا بتحليل كيميائى لنفس محب ومحبوب ، وهذه الصلات الروحية هي سر التعقيد فى الحب ، لا الجمال ، لأن الجمال كله له روعة من احدى نواحيه ، ومامن جميل ألا ويمتاز بميزة سحرية عن أخيه ، فمن فقد ميزة خص بها فى الجمال . فاخرجه من مملـكة الجمال ألى دولة القبح وبذا ترى أن الجمال لايقسم ألى بسيط ومعقد ، بل يقسم ألى ميزات مختلفة لـكل جميـل ، يتبينها

والمشية ، وكم منهم من يتخطى سواد العين ، ثم يحاول فهم ما فى العين من رموز والغاز وفى العين ما شئت وشاء السحر من اللبس والتعقيد ..»

كل منا بقدر ما أوتي من حب للجمال ، ويوازن بينها تبعاً لغرضه الروحى أن كان روحيا ، أو لغرضه المادى أن كان ماديا ، ويفهمها من ناحية حياتها ومن ناحية خفة روح صاحبها ان كان فنيا ! ! ! . . . .

هل مهد الجمال التقبيح ؟ الفن والادب تعوزهما الحرية لكى يستطيع الأديب أو الفنان أن يخرج لنا صورة كاملة غير ناقصة من نفسه الفياضة بالمعانى القلبية والفكرية والعقلية والفنية ، ولكن هذه الحرية يجب أن تقيد لاعلى أن تضطر الأديب أو الفنان أن يتبع التقييد ، بل على أن تأخذ قليلا من جهده فى تغطية المكشوف من الأدب والفن مراعاة للاخلاق التى يجب أن يكون للادب والفن الأثر الاكبر فى اصلاحها ، لا افسادها ! ! ! . . . .

* هل يصلح الحب الاضطرارى ؟ نعم لان الجمال يسكب الحب الطاهر فى الارواح القوية ، فيدفعها الى الحياة وهو الجهاد فيه ويدفعها الى الفضيلة أيضاً ، لان الحب الصادق سمو والسمو يأبى الانحطاط الخلقى ، وهو حياة ، والحياة ضد الموت

وهو جهاد لينمو ويزداد فيتبع هذا النمو والازدياد جهاد النفس في سبيل كل أمر شريف !! ..

وما الحب في الانسان الا فضيلة تلطف أخلاقا له وتدمث

قال فيدروس « ليس في العالم شخص مهما كان وضيعا لا يوحى اليه الحب أسرار الفضيلة ، وقد يسمو بهذا الوحى لدرجة من ركزت الفضيلة في طبيعته . . . وليس في العالم سعادة ولا نفع أعظم مما يعود على انسان في مقتبل العمر من محبه أو محبوبه ، فلا شرف المولد ولا عز الغنى ولا علو الجاه توقظ في نفوس عشاق المجد من العواطف التي تضيء نفوسهم وتنير بصائرهم ما يوقظه الحب(١) وقال سقراط « لا يوجد رفيق غير الحب لايجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا البشرية الفانية .... !! » انما يعوز الشبان لتفهم حقيقة الحب فهم الفرق

---

(١) فمن تلك العواطف عاطفة الخجل من السقوط في هوة العار وعاطفة التفاني في حب العلا (راجع ص ٢٦٠ مائدة افلاطون للاستاذ الكبير لطفي جمعه بك

بين عاطفة تترجرج بين الفخذين وبين الأخرى الشريفة الموصلة بمغناطيس الروح لقلبين ! ! ..

*ماهو تأثير الجمال الحسى فى المعنوى عند المنظور اليه والناظر؟

نعرف أن فى كل شكل معنى ، والشكل الجميل عندنا ليس ما كان عاطلا ، بل ماحوى معانى جميلة ، وبذا يؤثر على الجمال المعنوى . ويعوزنا لفهم هذا أن نفهم أن جميل الوجه عند الذين يفهمون الجمال ، ليس جميله الا اذا اقترن هذا السحر الحسى بجمال معنوى من خلق وذكاء !! بين الغبى والذكى ، بين الشرس والوديع ، وبين الشرير والخير ، فوارق كثيره يمكنك قراءتها فى العينين والوجه والجبهة ، وبها نحكم على جمال التأثير فنسائل أنفسنا هل يؤثر علينا وجه قبيح خلق صاحبه ؟ فنجد الجواب فى أنفسنا جميعا لا ! (١) . وبذا نجد أن الجمال الحسى فى الجميل ليس شيئا مذكوراً بالنسبة لجماله العقلى والمعنوى

---

(١) La Beauté Rationelle- fond sur la raison - Par Souriau

فاذا ماأدرك هذا حافظ على أن يكون جميلا دائما ، فيصلح نفسه ويهذبها ويدرك الآخر الفرق بينه وبين الأول من حيث الجاذبية ، فيحاول أن يكون جميلا من ناحية ـ الخلق والنفس. هذا المعنى هو أول ما يتبادر الى الذهن . . لكن هناك معنى آخر خفيا وهو أن الناظر للجميل يغذى روحه بالجمال فيحبه ... ومن حب الجمال الحسى يتدرج الى حب المعانى الجميلة ، والفضيلة احداها !! . .

لماذا يخرج ارصاده النظر لجمال حسى ، النظرة من بريئة روحية الى أخرى آثمة ؟ يقول الحديث الشريف مامعناه ان لك النظرة الاولى والثانية ولكن ليست لك الثالثة لدخول الشيطان بينكما فيها ، على أنى أفهم أن قوة الجمال تقهر الناظر على كسر حدة نظره ، وان الذوق يحتم عليك ألا تطيل النظر لمن لاتعرفه لئلا تجعل للريبة مكانا فى نفس المنظور اليه . لذا أرى أن تضع فى جيبك كتابا تشغل نفسك به ، فتتبع قوانين الذوق التى تقضى عليك ألا تضايق من لاتعرف باطالة النظر اليه ولكى تحول بين دخول الشيطان بينكما فى حالة ما اذا

كان المنظور اليه سيء الخلق ، لأن النظرين اذا تلاقيا وكان المنظور اليه فاسداً ألقى بنظره اليك بمعانى بهيمية بحتة تغويك اذا تكررت هذه المعانى منه، فتصرف عن الجمال الى الشهوة وترجع بك الى الحالة البهيمية المرذولة وبذا تخرج عن مبدئك هذا اذا كنت لاتعرف الجميل .. أما اذا كنت تعرفه وحادثته ، فثق أن فى المحادثة نفسها انصرافا عن دخول الشيطان بينكما مادمتما بريئين ، لما فى الحديث الطاهر من تغذية روحك برروح الجميل ، وفى الروحانيات انصراف كلى عن البهيميات !! .

ما الصلة بين الكمال الخلقى والجمال ؟ أذن يجب أن نبحث فى أنفسنا ، وما الذى يزكيها فيفلحها وما الذى يدسيها فينجيها اذ يقول الله تعالى «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ـ ، ولقد قبح ابن مسكويه فى كتابه تهذيب الاخلاق صاحب البهيمية بقوله أن الذين تقوى فيهم نزوات النفس البهيمية تجذبهم الشهوات القوية بتلك القوة البهيمية فيرتكبوها ولا يرتدعوا عنها ،

وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها ، فتراهم متسترين بالبيوت متوارين بالظلمات اذا هم هموا بلذة من لذاتهم . وليس أدل على قبح لذاتهم من هذا التستر منهم ، لان الشيء الجميل مرغوب دائما فى أذاعته ، مرغوب دائما فى اظهاره ؛ فاذا مافهم الشبان نظرية ابن مسكويه هذه فى تقبيح صاحب البهيمية ، أدركوا من أنفسهم قبح أنفسهم ، فاشتاقوا الى ازالة نقصهم ، غير معتذرين مموهين على الشباب الثائر بان فلانا العظيم أو فلانا الشريف بمثل ماهم عليه وأنهم غير منفردين بقبائحهم .

وبذا يتجنبون الرذيلة ليصلوا الى الفضيله ويتعودون العادات الحسنة ، ويجعلونها بحيث يؤثرونها وينعمون بها . فمن تدارك الخطرة السيئة اضمحلت ، ومن ترك لها عنانها صارت شهوة ، ومن تدارك الشهوة ضاعت وضعفت والاصارت طلبا ، ومن تدارك الطلب نجا والا صارت جميع طلباته عملا فاسدا ! !

مافائدة مملكة الجمال ؟ مملكة الجمال تفهمك أن الجمال

ماغـذى الروح وأنار العقـل وسر القلب ، فتفهمك نفسك وترغبـك فى الفضيلة والجمال . . وما أريد بكتابتى أن أثير اعجابك أو مديحك لان الكتاب العظيم ليس مايثير اعجابك بل مايدعوك الى اتباع مبـدئه . والكاتب العظيم ليس من يستخرج منك مديحك له بل من يفتح لك ينابيع جـديدة للنشاط الروحى والشعور فى نفسك. وهذا الـكتاب حديث القلب والروح معا حديث مؤلفه عن الحب صراخ قلبه الفتى، وعن الفضيـلة شعـور بسحرها، وعن الجمال تذوق لعذوبته وفهم لآياته ، وعن المعانى تقديره للروح الخالدة .. فخذه ياقارئى روحا للشاعرية الفتية ، لحنا للحب القوى، مسرحا للجمال، ونغمة صادقة للارواح العالية !! .. فان سخر ساخر بمبادئه فاعلم ان ثمن السمو الحسد ، وأن الذين لايستطيعـون عمل شىء نافع مثمر ، يقدرون على السخرية ، انتقام البله الوحيد من الجهد المضنى ، وانتصار الفشل الدائم على الافكار الانسانيـــة البريئة !! .. وليس من عاطفة انسانية نبيلة ألا وينظر الناس لها نظراً مغرضا ، وبذا يحزنك أن تعرف أن هناك جمالا هو

جرم فى نظر الناس !!!

* وأنا واثق أن السبيل الوحيد لمداواة نفوسنا هو الغذاء الطيب ، وبقدر هذا الغذاء وبقدر مافيه من عناصر كاملة تتناول تغذية الفكر والعقل والقلب والاخلاق ؛ تكمل نفس متناوله . . . وهذا هو الذى حاولنا أن نقوم به فى هذا الكتاب . .

حديث قلبى : ولا أحاول ان أحدث عن قلبى الكليم ، لانى لا أستطيع عنه حديثاً ، ولان الحديث عنه مر أليم ؛ ولكنى أستطيع أن أحدثك عن تلك الروح الحائرة وتلك النفس الفياضة بالعاطفة المتدفقة بالشعور ، ولو كان الامر أمر حب كما يفهم الناس ؛ أو أمر عشق كما يعرفونه ، لما هاجتني الذكرى ، ولما آلمنى الحديث ، ولكنه حب للجمال غير محدود وماقولك فى امرىء هذا حبه وفى روح هذا عشقها ، وهى كلما رأت حسنا اشتاقت الى غيره ، وكلما شاهدت جمالا رغبت فى أسمى منه ، وكلما طلعت عليها بدور أرضية ، رغبت فى أن ترى بدورا ملائكية ، وكلما تملكها الحب سما بها الى مرقاة الكمال ! !

مناجاة الجمال

فلسفة الجمال والحب : يتلظى صبابة ويتأوه كآبة .. يضطرب فؤاده ويسقط ، ويعلو الضرم على قلبه المكلوم ويهبط .. يأخذه بالجمال الهيام ويأسره بالهوى والغرام .. يناوح الحمائم ذوات الاطواق (١) ويتلظى بنيران الوجد والأشواق ... فاصدقني أيها المحب وسم قدحك واوضح لى سبب جرحك؟ ! .. فانى لم أزل للجمال حليفا ، وللتخيلات أليفا لا تخضل روضة فى مملكة الجمال إلا وأنا لها عندليب ، ولا تزهو فى الفضيلة دوحة إلا وأنا غصنها الرطيب . . نخذ فلسفة الجمال والحب عن مملكة الجمال ، فهى خير رائد وأجمل قائد !! ...

قل لى ! ! أأنت قتيل غزلان أو ابد ؟ ! . . أم أسير

---

(١) الطير

ظباء شوارد ؟ ! . . وهل تفهم الجمال ، وهل تعرف معناه . . أخشى أن تكون له جاهلا ! . . والا مالى أراك تبغى من ورائه ارواء شهوة دنيئة بهيمية ! . . أنت تجهل الجمال . . لست تعرفه . . أنت له دعى ! ! . . .

* ينعجم لسانك ويتلجلج ، ويضطرم من حب الملاح جنانك ويتوهج فاذا رمت أن تقتبس من أنوارهم ! . . نظروا اليك بأطراف كحيلة قد زينت بالدعج ، فوقت سهامها على خدود أسيلة ولاحرج ، فكأنما زين صبح الجبين بليل الشعر وغرس فى عذب الرضاب صغار الدرر ؟ ! . فحاذر من الطرف الادعج فالسحر يلوح من خلاله ومن الجبين الوضاح الأبلج والمبسم الأفلج فما البرق عند ابتسامه ، وما اللؤلؤ الرطب لدى انتظامه : فآه من عيونهم الساحرة . . . . وآه من جفونهم المقيدة . . آه من عيونهم المريضة ترمينا بنبل دعجها ، فتسلب أفكارنا وأذهاننا ، وآه من الجمال يملك الألباب ويسلب الأفئدة ، أيه ، تلك الاقمار الارضية ! . . مغناطيس القلوب هم ، سالبو الألباب ، فاذا ماقضينا من التملى بجمالهم الوطر ،

وأروينا بالتحلي بمحياهم حق النظر، يجرى الجمال كالغزال النافر فنقف أثر تلك الجآذر ، وكلما قلنا للبراع اكفف ، همى « بالمدامع » ولم تألف جنوب الفكر « المضاجع »

سل من بعينيه يصول * أهي اللحاظ أم النصول
هل جردت يوم النوى * الا لتختلس العقول ؟!

فيالروح حلوة بها نهيم ! ..ويالله فضيلة بين الجمال تقيم!!..

تحية المؤلف للجمال

الى الصوت الجميل يضرب على أوتار قلوبنا ! !
الى الشكل الجميل يأخذ بألبابنا وعقولنا ! !
الى الخلق الجميل يسحرنا . . الى الطهارة تفتننا!!
الى المواهب والمدارك تملك علينا مشاعرنا ! !
الى هؤلاء جميعا الذين يسحروننا بسحر عيون الجمال بحسياته ومعنوياته ، تحية حبنا وقلوبنا ! !

الفهرس

ص	الموضوع
٢	الاهداء الى مولانا الملك الصالح ملك القلوب فاروق الأول (ص ٥٠ فاروق كمثال للجمال الداخلى يصحب الجمال الخارجى - ص ٢٣٩ فاروق كمثال لان الحب حقيقة)
٤	الروح الجامعية فى عامرنا الثانى
٨	مقدمة
١٠	تمهيد فلسفى
	مملكة الجمال
٢٣	ماهو الجمال ؟
٢٩	هل الجمال حقيقة أم مجرد ظهور ؟
	صور من الجمال
٥٤	أصول الجمال الحسى
٥٨	الجمال والتناسب
٦١	سحر العيون وألم الحب
٦٤	الجمال بين اللذة والألم
٦٩	جمال الحكم
٧٩	جمال الاخوة الانسانية
٨٢	جمال روح الجماعة
٨٨	الجمال فى الفكاهة
٩٦	جمال الشاعرية
١٠٢	جمال الخيال
١١٠	الجمال والفن

ص	الموضوع
١١٧	جمال الأساليب
١٢٣	جمال الحرية
١٢٧	جمال الحياة الجامعية
	معانى الحب
١٥٠	الجمال والحب
١٥٢	الجمال بين الجسم والروح
١٦٠	لواعج الحب
١٦٦	أسرار الحب الروحى
١٧١	الحب الفاسد والحب الشريف
١٧٤	الصداقة الصادقة
	هل هى حب ؟
١٧٨	حب الله
	بين الجمال والاصلاح الخلقى

ص	الموضوع
١٩٥	الحب الروحى للجمال
١٩٨	تمهيد لدراسة النظرية الروحية للجمال
٢٠٤	سبيلنا مداواة النفوس
٢٠٨	الجمال كدواء للنفوس
٢١٨	الجامعة المصرية والنظرية الروحية للجمال
٢٢٦	صلة الأخلاق بالجمال فى نظريتنا
٢٣٣	ماسبب الاختلاف فى فهم الجمال ؟
٢٣٧	هل الحب حقيقة أم ظاهرة ؟
٢٤٢	لماذا ألفت مملكة الجمال ؟
٢٤٤	هل هناك صلة بين الجمال

ص	الموضوع
	والسقوط ؟
٢٥٢	هل من يدعو إلى الروحانية خادع ومخدوع؟
٢٥٤	لماذا نقبل ؟
٢٥٧	الحب البرىء والجمال نظريا وعمليا
٢٥٨	ميل الصداقة
٢٦٢	هل فى الجمال الحسى تعقيد ؟
٢٦٥	هل من الجمال التقييد ؟
	هل يصلح لحب الاخلاق
٢٦٧	ماهو تأثير الجمال الحسى فى المعنوى عن المنظور اليه والناظر ؟
٢٦٨	لماذا يخرج ادمان النظر للجمال الحسى ، النظرة من بريئة روحية الى أخرى آثمة؟
٢٦٩	الصلة بين الكمال الخلقى والجمال
٢٧٠	مافائدة مملكة الجمال؟
٢٧٢	حديث قلبى
	مناجاة الجمال
٢٧٣	فلسفة الجمال والحب

الغلطات المطبعية

وقعت بعض غلطات مطبعية قليلة لاتخفى سنذكر أهمها :-

ص	س	خطأ	صواب
٢	٦	يتودجك	يتوجوك
١٠٨		فالتحيل	فالتخيل
٣٠	٩	غرص	غرض
٣٣	١	دلك	ذلك
١٠٣٤		امنلاك	امتلاك
٣٥	٣	بذ	بذا
١٦٣٩		لايخرج	لا أن يخرج
١٤٤٠		لنصورنا	لتصورنا
٤٦		فوريه	فريفيه
١١٩٥		طهره	ظهره
١٠٠	٢	بجمع	يجمع
١٠١٠٢		يدكى	يذكى

ص	س	خطأ	صواب
١٠٩	١٠	تحريدها	تجريدها
١١٦	٨	ناحيه	ناحية
١٢٤	١٣	فنى	تنى
١٢٥	٩	الناطفن	الناطقين
١٢٥	١٢	نضحى	يضحى
١٢٨	٢	أبضا	أيضا
١٣٢	١	تقوى	نقوى
١٣٣	١٥	عزور	غرور
١٤٤	٤	الدورس	الدروس
١٥٧	١٦	لاقلاع	الاقلاع
١٥٨	٣	يحارب	تجارب
١٦١	١٣	الانقياد	والانقياد

ص	س	خطأ	صواب
١٧١	١٤	فأجات	فأجاب
١٧٢	٩	لتحيا .	لتحيا ،
١٧٣	١٣	حنت	جنت
١٧٤	٥	الثريفه	الشريفة
١٧٩	٨	يوضع رقم(١)	
١٨١	١١	اذا	اذ
١٨٧	١٢	ربه .	ربه ،
١٨٨	٨	جمبعا	جميعا
١٨٩	١٦	شوفه	شوقه
١٩٩	٤	نحعل	يجعل
٢٠٠	٦	الحمال	الجمال
٢٠٣	١٢	بريقها	بريقها
٢٠٤	٥	لى	الى
	٦	الكثيران	الكثيرون
٢٢٠	١١	الشراب .	الشراب ،

ص	س	خطأ	صواب
٢٢١	١٦	حمال	جمال
٢٥٢	٢	الفلب	القلب
٢٥٥	١٠	تعتبر	تعبر
	١١	ندكر	نذكر
	١٤	لاعجاب	الاعجاب
٢٦١	١٠	نصحيتى	نصيحتى
٢٦٩	٨	بررح	بروح

892.74:K15mA
قراعة ،محمود علي
مملكة الجمال والحق والخير
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

01038371

٤٢٢ ٥٤